وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

ديوان المراثي

شعر

عبد الرزاق عبد الواحد

من الشعر العربي ١٨٦

ديوان المراثي



عبد الرزاق عبد الواحد

ديوان المراثي

شعر

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٠


من الشعر العربي
«١٨٦»

يا شيخَ غُربَتِنا

في رثاء الشاعر أحمد الصافي النَّجفي


7 / 221

هـذي مَحطَّاتُنـا، فامشي علـى مَهَـلٍ

نُلقـي علـى بعـضِنا تَـسآل مُرتَحـلِ

تحيَّـــةً ربَّمـــا.. وَجــــداً نكابـــدُهُ

تَعِلَّـــةً.. نظــــرةً مُبتلَّـــةَ المُقَـــلِ

نقـــولُ شـــيئاً، وَنَـــدري في طَويَّتِنـــا

أنّـا عَثرْنـا، وأنَّ القــولَ لـم يُقِــلِ

وأنـتِ يـا خُطـوةً تَخـشى هَواجـسَهَا

هـذا طريقُـكِ مهمـا تُبطِئـي تَصلِي!

هـذي مَحطَّاتُنـا.. تَطوي الحيـاةُ بنـا

مَفازَهـا بـين مَخـضوبٍ ومُـشتَعِلِ

شـتَّى.. مَـداراتُنا شـتَّى.. مَرافئُنـا

شـتَّى، نَمُـرُّ بهـا مَـرَّاً علـى عَجَـلِ

مُحـاذرينَ الرِّضـا أن يَطمـئِنَّ بنـا

كـيلا نُقـايضَ لَفْـحَ النّـار بالبَلَـلِ!

حتى إذا صاحَ فينا صائحٌ شَخَصَتْ

منّـا العيـون، ولاذَ الـسَّهلُ بالجبَـلِ

ونلتقـــي وعنـــانٌ مـــن أعِنَّتنـــا

ألـوَتْ بــهِ فكَبـا دوَّامــةُ الأجَـلِ

أولاءِ نحـــنُ علـــى عِلاَّتنـــا سُــدُمٌ

مَزروعـةُ العـينِ عنـدَ المعبَـرِ الجَلَـلِ

حتـــى إذا شـــقَّ لمَّـــاعٌ مَفازَتَــــهُ

آلَــتْ مَنــابعُ عينيــهِ إلــى وَشَــلِ!

يــا شــيخَ غُربَتِــا، لــولا مُكــابرةٌ

تُميتُنــا، لــم نُــلاقِ الـرِّيحَ بالأَسَــلِ

ومــا ادَّعــى مُــدَّعينا أنَّــهُ بطَــلٌ

لكنْ يمـوتُ علـى أُسـطورةِ البطـلِ!

يــا شــيخَ غُربتِــا، تبقــى تُعلِّمُنــا

حيـاةُ مثلِـكَ معنـى المـوتِ في القُلَـلِ

معنـى التَّفَـرُّدِ.. معنـى أن نَمُـجَّ دمـاً

ولا نمـوت.. ونستَعصي علـى الكَلَـلِ

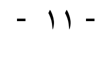
هــذي مَقاديرُنــا، نبقــى نُــصرِّفُها

كمـا جُبِلْنـا، فتَطوينـا علـى عَجَـلِ

نحُــن البَعيــدون إلاّ عــن مَقاتِلنــا

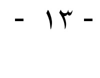
في ذروةِ اليــأسِ أو في ذروةِ الأمَــلِ!

* * *



تنهضُ بين الحقائق

في رثاء الشاعر حسين مردان



مُتعَباتٌ خُطاكَ إلى الموتِ

مَهمومةٌ

يا حسينَ بنَ مردان

لكنْ تُكابرُ

أيقَظْتَ كلَّ المَلاجيءِ

فانهزَمَتْ

مَنْ يشاركُ مَيْتاً منيَّتَهُ يا بنَ مردانْ؟

مُنجرِداً وحدَكَ الآنْ

يُحشَرُ هيكلُكَ الضَّخْمُ في ضَنْكةِ الموتِ حَشراً
وأنتَ تُكابرُ
كلُّ المياهِ تَعَثَّرتَ فيها لِتُطفيءَ خَوفَكَ
فاشتعَلَتْ

موحَشاً كنتَ
مُستوحَداً
تَتَنازلُ عن كلِّ أرقامِكَ المُستباحةِ
تُسقِطُها
واحداً
واحداً

الطريقُ إلى الصِّفرِ مُعجزةٌ يا بنَ مردان
أن تَملِكَ الدَّربَ وحدَكْ

تَمتلكَ النَّدمَ المتَفَرِّدَ وحدَك

أن تلتقي والذي خِفتَهُ العُمر..

تَدخلُ دهليزَهُ

إنَّها لَحظةُ الكَشْف

وَحدَكَ تَملكُ أن تَسمعَ الآن

وحدَكَ تَملكُ أن تَتَقرَّى

ووَحدَكَ تُبصِر

تَعلَمُ وَحدَكَ إن كان للخَطوِ مُرتَكَزٌ

حين يَفتَقدُ المرءُ أقدامَهُ

حين يَفتَقدُ الأرض

تلك خصوصيَّةُ الموتِ

تَملكُها الآنَ وحدَكْ

تحبو إليكَ المجاهيل

تنهَضُ بين الحقائقِ

عُريانَ

منخَلِعاً عنكَ كلُّ ادِّعائكِ

إنَّ الطريقَ إلى الصِّفرِ مُعجزةٌ

إنَّهُ الخوف

عُمرَكَ وَطَّنْتَ نفسَكَ أن تألَفَ الخوف

لكنَّ حجمَ الذي أَنتَ فيهِ

يُحَطِّمُ كلَّ القياسات

يُسقِطُ كلَّ المَعابِرِ حيثُ التَفَتَّ

سوى معبَرِ يَشرئبُّ إلى يوم كنتَ صغيراً

تلوحُ بهِ

حافِ القدَمين

مُهَدَّلَةً ياقَةُ الثَّوبِ منكَ

تَمرُّ عليهِ الوجوهُ التي

والسِّنينُ التي

والنِّساءُ اللواتي..

وتأتي حسينَ بنَ مردان

مُنْسَدِلَ الشَّعرِ للكتفَين

عَصاكَ الغَليظةُ تَضربُ بين ديالى وبغداد

تَصعَدُ مِعراجَ قوسِك

كانتِ عَموديَّةَ المُرتَقى كلُّ أقواسِنا يا بنَ مردان
تَذكرُ كيفَ تَقَبَّلَنا الموت؟

أسماؤنا كلُّها ذاتَ يومِ عَقَدْنا على شجَرِ الموتِ أجراسَها
وانتَظرنا الرِّياح
وكانت تَهبُّ الرّياح
تَهبُّ..

أكُنَّا نُبالغُ؟
أَم أنَّها سَنواتُ البطولَةِ
يَنكسرُ المرءُ من بَعدِها سُلَّماً
ثمَّ يَزحفُ للخوفْ؟

تَذكُرُ كيف تَقبَّلَنا الموت؟؟

ما تَصفرُ الرّيحُ

إلاّ ويَسمعُ واحدُنا رَنَّةً باسمِهِ

ثمَّ يمضي

ولكنَّها سنَواتُ الرِّضا يا بنَ مردان

البَشَرُ الماءُ

يَعقدُ أجراسَهُ في مَهبَّاتِ كلِّ الرّياح

ويَختبيءُ الجرَسُ الموتُ

أصغرُ أجراسِهِ الجرَسُ الموت

أفنَيتَ عُمرَكَ تُحكِمُ تَعليقَهُ

وتُوَسِّعُهُ

ثمَّ تُوسِعُ حِملاقَ عينيكَ فيهِ

فتفزَع..!

ماذا جنَيتَ ابنَ مردان؟

طفلاً لَهَوتَ بدُميةِ عُمرِكَ

طفلاً سَئِمتَ، فحَطَّمتَها

حُلُماً كان أن تَشتري بَدلةً

حُلماً عشتَ أنْ صرتَ مُستَوظَفاً

حُلماً أن غَدَوتَ

ولو مَرَّةً

دائناً لا مديناً

ولكنَّه يا بنَ مردان دَقَّ

ولم تَتَّسخْ بَعدُ أكمامُ بَدلتِك الحُلم

دقَّ

ومازال دَينُكَ

ما حانَ مَوعدُ إيفائِهِ

دقَّ ناقوسُ موتِكَ

يا أيُّها الإمبراطور(*)

يا أيُّهذا الموظَّفُ من قبلِ شهرَين..

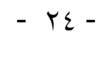
* * *

(*) كان يحلو لحسين مردان أن يسمي نفسه دائماً «إمبراطور الأدب».

غَرَقُ الطُّوفان..

شهقةٌ على جثمان العالم العراقي

الكبير الدكتور عبد الجبار عبد الله



وانسابَ في صَمتٍ، وفي جَلالْ

تَلفَّتَتْ تسألُ عن مَنبعهِ الجبالْ

أيُّ ذُراها؟..

رَفعَتْ رؤوسَها الأهوارْ

وابتَسمَتْ،

رَنَتْ إليه في اعتزازٍ

أجهَشَتْ

وظَلَّ ينسابُ مَهيبَ الموج

في صمتٍ

وفي جلالْ

مُعمِّقاً مَجراهْ

مُغالِباً مَجراهْ

مُتَّسِعاً فاضَ على مَجراه

ثمَّ استَقَرَّ حيثُ لا تضطربُ المياهْ

وحيثُ لا تختلفُ المياه..

ماءٌ ولا جَفافْ

لم تَثِبِ العيونُ عَبْرَهُ إلى ضِفافْ

الأرضُ كلُّها غَذَتْهُ،

احتَضَنتْ مَسارَهْ

تَرصَّدتْ مَدارَهْ

أعطَتْهُ

لم يأخذْ،

وأعطى كلَّ ما لَدَيهْ

لم يَسبِروا قَرارَهْ

لكنَّما رَوائحُ العِماره.. (*)

حَياتُهُ..

كأنَّما ضياءْ

أنجَبَهُ احتراقْ

أرضَعَهُ احتراقْ

وَهَجَّهُ احتراقْ

أطفأَهُ احتراق

أغفى

(*) العمارة: مدينة في جنوب العراق، ولد فيها عبد الجبار عبد الله، وعاش طفولته وصباه.

تَعَرَّتْ شَهقَةٌ تَملأُ عينَيهِ

تَلوبُ

تَطرقُ الأبوابْ

تَستَصرخُ الوجوه،

تَستَشهدُ،

تبكي،

تَذبحُ الأهدابْ

وأفلَتَتْ مَروعَةً تحملُ عينَيهِ،

تكادُ تَشربُ العراقْ

تطوي المسافات،

تَذودُ الموتَ،

تَعدو

تَشربُ العراقْ

وانكَفَأتْ..

تَدَحرجَتْ عيناهُ رَطْبَتَين

واستَقرَّتا في تربةِ العراقْ..

وَطأطأتْ رؤوسَها الأهوارْ

وأجهَشَتْ على ضِفافِها حَناجرُ القصَبْ

تأمَّلَتْهُ وهو يَنسابُ بلا شُطآنْ

يَدِفُّ حَولَهُ ضَبابٌ هائلُ الأكفانْ

وتابَعَتْهُ..

غامَ في أحداقِها الأمسُ،

تَناءى

تابَعتْ أحداقُها المَجرى

هَمى الأمسُ رذاذاً

عينُها مَشدودةٌ عَبْرَ رَذاذِ الأمس

المَجرى ضَبابٌ هائلُ الأكفانِ يَنأى

انهَمرَ الغَيثُ عَنيفاً

غَرِقَتْ أحداقُها في الأمسِ،

غامَتْ

تابَعَتْهُ

تابَعتْهُ

تابعَتْ....هُ

جَدوَلٌ صغيرٌ

يوشوِشُ الأمواجَ في شواطيء العِماره

مُستوحِداً نَحيلْ

مُنسَرِباً بين جذورِ العُشبِ والنَّخيلْ

يؤنِسُهُ خَريرُهُ..

وتابَعَتْهُ

تَابعَتْهُ

تابعَتْ..

تذكَّرتْ طفلاً يَتيماً حافيَ الأقدامْ

على يَدَيها نامْ

يرتَعشُ الشِّتاءُ كلُّهُ بِرُكبتَيْه

يَندَسُّ في عظامهِ

يَجمدُ في يدَيه

فينحني عُوداً على كتابِهِ الصَّغيرْ

وزَخَّتْ الأمطارْ..

تَذكَّرتْهُ يافِعاً

صامِتةً خُطاهْ

واسعةً خطاهْ

تذكَّرتْ كم شَرِبَتْ عيونُها خُطاه

حتى غابَ في الضّياءْ

وحولَها حناجرُ القصَبْ

تَشهَقُ بالدُّعاءْ

وانسابَ نحوَها يَنابيعَ من الضياءْ

عادَ إلى وديانِها سَماءْ

عاد إلى شُطآنها سَماءْ

عاد إلى أحضانِها بَحراً من الضّياءْ

وادِعةً خُطاهْ

ثابتةً خُطاهْ

هائلةً خُطاه

فَزَغرَدَتْ كلُّ شِفاهِ القصَبْ

واحتَضَنَتْهُ،

قَبَّلتْ خُطاه

وزخَّتْ الأمطارْ

عَنيفةً

ثمَّ تَلاشى الغَيمُ

شَفَّ

اغرَورَقَتْ أحداقُها بالضَّوء

ذابَ الأمسُ

شَفَّ

ابتَلعَتْ دموعَها الأهوارْ

ثمَّ أَفاقتْ..

كان يَنسابُ بلا شُطآنْ

يَدِفُّ حَولَهُ ضَبابٌ هائلُ الأكفانْ
أمواجُهُ تَعثَرُ بالضَّبابْ
أضواؤهُ يَشربُها الضَّبابْ
يَنسابُ في الضَّبابْ
يَنسابُ..

لا شيءَ سوى الضَّبابْ..

حينَ تَمرُّ الرّيحُ في شَواطيءِ العِمارَه
يَصعدُ مِن حَناجرِ القصَبْ
يَنثالُ من ذَوائب النَّخيلْ
صوتُ نداءٍ يُشبهُ العويلْ:

أوحَشْتَ عبدَ اللّهْ
صَوَّحتَ عبدَ اللّهْ

يا والدَ الطُّوفانْ

قد غَرِقَ الطُّوفانْ

لا نِمْتَ عَيناً

غَرِقَ الطُّوفانْ

لا نِمْتَ عبدَ اللّه

لا نِمتَ عبد اللّه

لا نِمت..

* * *

يا وارفَ الظلِّ

في عبد الجبار عبد الله

عام ١٩٩٣



ذكـراكَ، واللَّيـلُ، والأمطـارُ، والـسُّحُبُ
وصَـوتُ مـِزرابِ جـاري وهـوَ يَنتَحِـبُ

وَوَحـشَةُ المـوتِ، والنَّجـوى، ومَكتَبَتـي
وأنـتَ مثـلَ انـسِرابِ النُّـورِ تَـسَرِبُ

كأنَّمـا مِـن ضَـميرِ الغَيـبِ تَـسألُني
مـاذا سَـتَنفَعُكَ الأوراقُ والكُتُـبُ؟!

لابـأسَ.. أدري بـأنّي بـالغٌ أجَلـي
أبـا سِـنانٍ.. وأنّـي مُـوحَشٌ، تَعِـبُ

مُـستَنزَفٌ.. وشَـراييني، وأورِدَتـي
دَمـي بِهـا كالتِهـابِ الجَمـرِ يَلتَهِـبُ

أدري، وأدري بـأنَّ العُمـرَ مِـن قَلَمـي

مثـلَ المِـدادِ علـى القِرطـاسِ يَنـسَكِبُ

وأنَّ قلبـــيَ مِــن وَجــدٍ، ومــن قَلَــقٍ
وَجيبَ جِنْحِ القَطا في أضلُعي يَجِبُ!

هَـل عِـشتَ إلا لهـذا؟.. أو لأنبَـلَ مِـن
هذا؟ فَأيَّ اضطرابٍ كنتَ تَضطربُ؟!

أنـتَ الـذي كنـتَ عُـوداً لا وِقـاءَ لَـهُ
مثــلَ الــسَّنابِلِ، إلا حَبُّــهُ الرَّطِــبُ!

أعطـى لهـا عُمـرَهُ، حتـى إذا نَـضَجَتْ
ألوَتْ بِها الـرِّيحُ، والتاثَتْ بها التُّرَبُ!

طُوبـاكَ.. في كـلِّ أرضٍ مِنـكَ سُـنبُلَةٌ
وَنَجمَـــةٌ.. وَنُهَيْـــرٌ مـــاؤهُ عَـــذِبُ!

يــا وارِفَ الظِّــلِّ.. يــا نَبْعــاً جَداوِلُــهُ

قلـــبُ العِمـــارَةِ في شُـــطآنِها يَثِـــبُ!

نَيِّـفٌ وعــشرونَ مَــرَّتْ وهـــيَ والِهَــةٌ

يَبكـي بأهوارِهـا البَــرديُّ والقَـصَبُ!

اللّه.. في لحظـةٍ كيـفَ انطـوى وَهَـوى

العِلـمُ، والحِلـمُ، والأخـلاقُ، والأدَبُ؟!

وكيـــفَ أهلُــكَ مــا مــادَتْ منـــازِلُهُم

كـــأنَّهُم مـــا رأوا هَـــولاً، ولا نُكِبـــوا

وكيـفَ لِـلآن لا يَـدرونَ عنـكَ سِـوى

أنَّ ابـنَهُم عــالِمٌ، قبـلَ اسـمِهِ لَقَـبُ!

أمّــا النُّبــوءَةُ.. أمّــا مــا نَـذَرتَ لــه

شَـتاتَ عُمـرِكَ حتـى شَـفَّكَ العَطَـبُ

شَـفَّاً.. وحتـى نَـشَرتَ الـرُّوحَ أشـرِعَةً
واللَّيـلَ بَحـراً، ورَكـبُ المـوتِ يَقتَـرِبُ

وأنـــتَ تَختَـــصِرُ الأبعـــادَ هائِلَـــةً
وقَـد تَلاقَـتْ علـى راحاتِـكَ الـشُّهُبُ

فَمـا لَهُـم حِـصَّةٌ فيـهِ، فَعِنـدَهُمو
لا يَحكُـمُ العِلـمُ لكـنْ يَحكُـمُ الـذَّهَبُ!

وعنـدَهُم لـيسَ لِلأحـلامِ مِـن سَـبَبٍ
لكـنْ لأصـغَرِ رِبْـحٍ عنـدَهُم سَـبَبُ!

وأنـتَ تَحلَـمُ.. أترَعْـتَ الـدُّنا حُلُمـاً
حتـى لَكـادَتْ تَهـاوَى دونَـكَ الحُجُـبُ

وجـاءكَ المـوتُ.. هـا أهلـوكَ.. لا
ولا اسـتُفِزُّوا، ولا رِيعُـوا، ولا رُعِبُـوا

يُعَلِّلــونَ بِهــذا الحَفــلِ أنفُــسَهُم

أنْ قَدَّموا لكَ باسمِ النّاسِ ما يَجِبُ

وأنــتَ تَــدري بــأنَّ الــدّارَ تَــسكُنُها

بِيعَتٌ، وقبرُكَ هذا.. مُوحِشٌ، خَرِبُ

وأنَّ كــلَّ الــذي أبــدَعتَ مِــن غُــرَرٍ

لِلعِلـمِ، تَحـتَ الغُبـارِ الآنَ يَحتَجِـبُ

قُلْ لـي إذن سيِّدي.. هـل أنتَ مَيِّتُهُم

أم الــذين تُوُفُّــوا أهلُــكَ النُّجُــبُ؟!

وهَل كَبُرتَ بِهِم؟.. أم هُم كَعَهدِهِمو

كَبيــرُهُم بَيــنَهُم عُريــانُ مُــستَلَبُ؟!

أيَعلَمــونَ بــأنَّ التُّــربَ تَــسكُنُها

يومــاً لَهــا يَتَمَنَّــى الــنَّجمُ يَنتَــسِبُ؟!

وأنَّ كـــلَّ نَهـــارٍ ضَـــيَّعوكَ بِـــهِ
أولادُهُــم عَنــهُ يَومــاً مــا سَــتَحتَرِبُ

وأنَّهُــم.. بَينَمــا تَبقَــى تُــضيءُ لَهُــم
سَــيَذهَبونَ.. فَــلا نَبْــعٌ، ولا غَــرَبُ

لا مــالُهُم.. لا مَتــاعٌ يَزدهُــونَ بِــهِ
يَبقى.. ولكنْ سَيَبقى وَجهُكَ الحَدِبُ!

يــا جَـذوةَ العِلـمِ.. يـا أعلـى مَراتِبِـهِ
إذا اســتُفِزَّتْ بِــهِ الألقــابُ والرُّتَــبُ

هـل أنـصَفَتكَ مَراقـي العِلـمِ كنـتَ لهـا
مؤسِّــساً، عُمــرَهُ يُعطــي ويَحتَــسِبُ؟!

أم أنَّهــا أنكَــرَتْ بــاني مَــدارِجِها
وَمَــن قَــضى عُمــرَهُ فــيهِنَّ يَغتَــرِبُ؟

إذن فَمَــن ذا سَــيُعطي الأرضَ رَونَقَهــا
أبــا سِــنانٍ إذا مــا أهلُهــا ذهَبــوا؟

ومَــن يَعيــدُ إلــى الــدُّنيا مروءَتهــا
إذا بَنُوهــا علــى آبــائِهِم شَــغِبُوا؟

وكيــفَ نُمــسِكُ بــالميزانِ نَرفَعُــهُ
إن لــم نَكُــنْ بِنِقــابِ الحَــقِّ نَنتَقِــبُ؟

إذا كَفَــرتَ بِثَــديٍ كنــتَ تَرضَــعُهُ
فــأيُّ شــيءٍ عليــهِ لَــستَ تَنقَلِــبُ؟!

أبــا سِــنانٍ أرانــي مُوقِظــاً وَجَعــي

ومـــــا لـــــيَ الآنَ في إيقاظِـــــهِ أرَبُ

لكنَّـــــهُ لِمَـــــصَبٍّ أنـــــتَ تَعرِفُـــــهُ

يَجـري، ونحـنُ كِلانـا فيـهِ نَـصطَحِبُ

أنـا بِـهِ مَحـضُ إنـسانٍ.. وكنـتَ بِـهِ

قِـدِّيسَ عَـصرٍ تَلاقَـتْ حَولَـهُ النُّـوَبُ!

عُـذراً إذا كنـتُ أُدنـي منـكَ مَجمَرتـي

أبـا سِـنانٍ، وأنـتَ الهـاديءُ العَـذِبُ

أنـتَ الـذي مـا دَرى يَومـاً مُحَدِّثُـهُ

عَـن هَمِّـهِ، أيُّ جُـرحٍ منـهُ يَقتَـرِبُ

وأنَّ هـذا الـذي يُـصغي بِـلا ضَـجَرٍ

إليـــــهِ، أوجاعُـــــهُ أُمٌّ لَـــــهُ وأبُ!

فَإن أكُنْ هِجتُ جُرحي فهوَ منكَ دِماً

ألـيسَ يَجمَعُنـا مِـن جُرحِنـا نَـسَبُ؟!

أنعِـمْ مَـساءً، وَطِـبْ نَفـساً بأفرُخِنـا

أبـا سِـنانٍ.. لَقَـد غَطّـاهُمُ الزَّغَـبُ

ونَــسأَلُ اللّه، إن طالَــتْ قَــوادِمُهُم

وأبعَــدَتْ عَــنهُمُ أهوالَهــا الرِّيَــبُ

أن يَهتَـدوا لِمَـسارِ النُّـورِ سِـرتَ بِـهِ

وَكُلُّهُــم بِــشُعاعٍ مِنــكَ يَنجَــذِبُ!

* * *

يا أيُّها القدّيس
يحمل صمتَهُ حملَ الآذانِ!

في ذكرى عبد الجبار عبد اللّه

عام ١٩٩٥



هـــذا أوانُـــكَ لا أوانـــي ورِهـانُ مجـدِكَ لا رهـاني

وصَـداكَ أنـت المـاليءُ الـدُّنيا.. فمـا جَـدوى بَيـاني؟

مَرمـاكَ أوسَـعُ مِـن يَـدي وَثَـراكَ أبلـغُ مـن لـساني

وسَـــناكَ أبعَـــدُ في المـــروءةِ أن أَراهُ، وأن يَرانـــي

وَحـضورُكَ البـاقي.. وكـلُّ حـضورِ مَـن وَلَـدوكَ فـاني!

يـا مَـن لَـهُ كـلُّ المكـانِ ولـيس يَملـكُ مِـن مكـانِ!

هـــذا أوانُـــكَ لا أَوانـــي   وَدِنـــانُ عُرسِـــكَ لا دِنـــاني

فـــإذا أتيتُـــكَ زائـــراً   فاعذُرْ رَفيفَ هَوىً دعاني

في كـــلِّ عـــامٍ يَـــشرئبُّ   دمـــي إليـــكَ أبـــا سِـــنانِ

لـــي مهرَجـــانٌ فيـــك يَبـــدأُ   قبـــلَ بَـــدءِ المهرجـــانِ!

ويَهيـــبُ بـــي مَرقـــاكَ.. أصـــعَدُهُ، فيَعثـــرُ بـــي عِنـــاني

مَبهـــــــورَةً أنفاسُـــــــهُ   مـــا بـــين زَهـــوٍ وافتِتـــانِ

يـــا أيُّهـــا القـــدّيسُ يَحمـــلُ صَـــمْتَهُ حَمـــلَ الأذانِ!

وتـــدورُ عُمْـــقَ الكَـــونِ أنجُمُـــهُ.. ونَحـــسَبُها دَوانـــي!

وأقـــولُ قـــد ألقـــاكَ.. قـــد   يَرضـــى زمانُـــكَ عـــن زمـــاني!

فـــأراكَ.. ألمَـــحُ مقلَتَيـــك   علـــى كتابِـــكَ تَحلُمـــانِ!

وأرى لجــسمِكَ وهــو مثــلَ الطَّيــفِ.. يعبــرُ في ثَــواني

فَــأُحِسُّ كــلَّ مُــروءةِ الــــ دنيــا تُغَلغِــلُ في كيــاني!

وأُحِــسُّ ضَــوءَكَ وهــو يَملــؤني، وَيمــسَحُ مِــن دُخــاني!

ويُعيــدُ لــي صَــفوي.. وَيمنَحُنــي شَــجاعةَ أَن أُعــاني!

عُــذْرَ اليَــراعِ أبــا سِــنانٍ إنْ تَلَجْلَــجَ في بَنــاني

أنــا كلَّمــا لامَــستُ عالَمَــكَ الوَديــعَ بِعُنفــواني

أحسَــسْتُ أنَّ علــيَّ أنْ أُغضي، وأخلَعَ صَولجاني!

فأَنــا أمــامَ سَــنىً كــأنَّ اللّهَ شــاءَ بــهِ امتحــاني

وأمــام خُلْــقِ مــا رأيــتُ لــهُ بهــذي النّــاسِ ثــاني

يــا أنبَــلَ الــدُّنيا، وأحلَمَهــا.. ويــا ثَبْــتَ الجَنــانِ

إنّــي رأيتُــكَ والحتــوفُ مـن الـسِّنانِ إلـى الـسِّنانِ!

جَمَّــاً هــدوؤكَ والفحــولُ يَؤودُهـــا جَــذْبُ العِــرانِ!

في قلــبِ عاصــفةٍ وأنــتَ علـى شُـحوبِكَ، كاليَمـاني!

تُحـصي مَواقِـعَ أصـدقائِكَ بالـــــدَّقائقِ والثَّـــــواني!

مِــن أيِّ مائِــكَ وهــوَ ثَــرٌّ أســـتَزيدُ أبـــا سِـــنانِ؟

ســأنِثُّ قــافيَتي.. عَـساني فيــكِ أطمُـشُها عَــساني![*]

فــأقولُ جئــتُ مُحــاولاً أكــسوهُ.. هــا هــوَ قــد

قــالوا.. وأنــتَ تَمــوتُ.. كانــت مُقلَتــاكَ تُرَفرِفــانِ

كحَمـــامَتَين غَـــريقَتَينِ عــن العِمــارةِ تَبحَثــانِ!

(*) أطمشُها: كلمة مندائية معناها «أعمّدها».

وبَقيِـــتَ حتـــى آخـــرِ الأنفـــاسِ تَلهَـــجُ في حَنَـــانِ
لـــو نَـــسمَةٌ هَبَّـــتْ بقَلعَـــةِ صـــالحٍ لـــكَ بالأمـــانِ! (*)
لـــو نَهرُهـــا نـــاداكَ آخِـــرَ مَـــرَّةٍ.. والـــشّاطِئانِ
لـــو طوَّقـــاكَ فَنِمـــتَ في حُـضنَيهِما والفَجـرُ دانـي!
فتَـرى إلـى شـمسِ العـراقِ ومُقلتـــاكَ تُحَـــدِّرانِ!
مـــشبوبةٌ هـــي في الميـــاهِ وأنـــتَ مـــشبوبُ المَحـــاني!

عُــذْرَ اليَــراعِ أبــا ســنانٍ إنْ بَرَيْـــتُ، وإن بَرانـــي
أنــا في رِحابِــكَ والعيــونُ جَمـــيعُهُنَّ لَنـــا رَوانـــي
شَمـــسانِ مَنـــدائيَّتانِ بكـــلِّ حُـــبٍّ تُـــشرِقانِ!

(*) قلعة صالح: قضاء من أقضية ميسان عاش فيها عبد الجبار عبد الله طفولته وصباه.

تَهَبـــانِ للبَــشَرِ الغَـــضارَةَ، والمَحبَّـــةَ، والأمـــاني

وبكـلِّ مـا يُغَنِّــي الهَــوى   جَرَيـانَ دَجلــةَ تجريــانِ!

فبـــأيِّ آلاءِ الـــــذي   أعطَيتُمـــاهُ يُكـــذِّبانِ؟!

* * *

يا شيخَ شعري

في رثاء الجواهري

كتبت في اليوم الثالث لوفاته



لا الــشِّعرَ أبكيــهِ، لا الإبــداعَ، لا الأدَبــا

أبكــي العــراقَ، وأبكــي أُمَّتــي العَرَبــا

أبكــي علــى كــلِّ شَــمسٍ أهــدَروا دَمَهــا

وبَعــدَما فَقَــدوها أســرَجُوا الحَطَبــا!

أبكــي علــى وَطَــنٍ يَبقــى الأديــبُ بِــهِ

لــيسَ الغَريــب، ولكــنْ أهلُــهُ غُرَبــا

أبكـي علـى النَّخـلِ يـا مَـن أنـتَ صـاحِبُهُ

وأنــتَ ســاقِيهِ قَرْنــاً مــاءَكَ العَــذِبا

وراحَ حتـــى العِـــدا يَجنونَـــهُ رُطَبـــاً

وأنـــتَ تَعلِـكُ منــهُ الـسَّعْفَ والكَرَبـا!

أبكـــي لأهــــوارِ أهلـــي الآنَ بَلْقَعُهـــا

يَبكــي فَيُبكــي بِهـا البَــرْديَّ والقَـصَبا

وَإذْ مُهـــــاجِرَةُ الأطيـــــارِ تَبلُغُهـــــا

تَبكــي وَتُمْعِــنُ عــن قِيعانِهـا هَرَبـا!

أبكــي الفُــراتَين.. هَـل تَـدري مياهُهُمـا

بــأنَّ أعظــمَ مَــن غَنَّــى لَهـا ذَهَبـا؟

لا (دجلــةُ الخيــر) ألــوَتْ مِــن أعِنَّتِــهِ

ولا الفُــراتُ بِخَيــلِ المَــوتِ فيــهِ كَبـا

كأنَّـــهُ لـــم يَكُـــنْ يَومـــاً نَــديمَهُما

ولا أدارَ هُنـــا كأســـاً، ولا شَـــرِبا

ولا جَـــرى دَمعُـــهُ مـــا ســـالَ دَمعُهُمـــا

ولا تَنَـــزَّى دِمـــاءً كُلَّمـــا اختَـــضَبا

يـــا حامِـــلَ الـــسَّبعِ والتِّـــسعينَ مُعجِـــزَةً

أقَلُّهـــا أنَّهـــا لـــم تَعـــرِفِ الرَّهَبـــا

لكنَّهـــا عُمْـــرَ قَـــرْنٍ كامِـــلٍ عَرَفَـــتْ

أنْ تُـــستَفَزَّ، وأن تُـــوري الـــدُّنا غَـــضَبا!

يُقـــالُ أرهَـــبُ مـــا في المَـــوتِ وَحْـــشَتُهُ

نَفـــسي فِـــداكَ، هَـــل استَوحَـــشتَ حـــينَ

وهَـــل شَـــعَرتَ اغترابـــاً في مَعِيَّتِـــهِ؟

قَـــضَيتَ عُمـــرَكَ يـــا مَـــولايَ مُغتَرِبـــا!

وهَـــل صَـــمَتَّ اضـــطِراراً، أو مُجانَفَـــةً؟

أم كنــتَ أبلَــغَ أهــلِ الأرضِ مُنــشَعِبا؟!

وهَــل تُوُفِّيــتَ فِعــلاً، أم وَلِــدتَ بِــهِ؟!

إنِّــي رأيتُــكَ مِــلءَ المَــوتِ مُنتَــصِبا

حتــى لَقَــد ضَــجَّت الــدُّنيا بِمــا نَــشِبَتْ

أظفــارُ مَجــدِكَ فيــهِ لا بِمــا نَــشِبا!

يــا شَــيخَ شِــعري، ويــا شَــيخي وَشَــيخَ دَمــي

مَــن لــي بــأنْ أفتَــديكَ الآنَ مُحتَــسِبا؟

مَــن لــي بِــأنْ أُرجِــعَ الأيَّــامَ دَورَتَهــا

فَأســـتَعيدَكَ بَحـــراً زاخِـــراً لَجِبـــا

يَلـــوي يَـــدَ الـــرِّيحِ لا تَلـــوي أعِنَّتَـــهُ

وَيَلطِـــمُ الجَبَـــلَ الجَلمـــودَ مُحتَرِبـــا

سَـــبعونَ عامـــاً، ولِلطـــاغوتِ رَهبَتُـــهُ

مـــا راءَكَ النَّـــاسُ، أيُّ النَّـــاس، مُرتَهِبـــا

بَـــل والِجـــاً كَولـــوجِ المَـــوتِ دورَهُمُـــو

مُهَتِّكـــاً عَـــنهُمُ الأســـتارَ والحُجُبـــا

مُغاضِـــباً مثـــلَ صِـــلِّ الرَّمـــلِ، مُنـــصلَتاً

لِلـــرِّيحِ.. لا عَطَـــشاً تَـــشكو ولا سَـــغَبا

في حـــينِ بَيتُـــكَ أغـــصانٌ مُهَدَّلَـــةٌ

تَـــذوي، وأجنِحَـــةٌ أبقَيْتَهـــا زُغُبـــا

مُرَفرِفـــاتٍ علـــى الأوجـــاعِ، داميَـــةً

وأنـــتَ تَرنـــو إليهـــا مَـــشفِقاً حَـــدِبا

وكُلَّمـــا مـــالَ مِيـــزانُ الأبِ انتَفَـــضَتْ

أُبُـــوَّةُ الـــشِّعرِ في جَنبَيـــكَ فانقَلَبـــا!

قـالوا هَرِمـتَ.. وَعُمـري لـم أجِـدْ هَرِمـاً

مَـــرآهُ يَمـــنَحُ حتـــى المَيِّـــتينَ صِـــبا!

وَدَدْتَ واللّهِ لـــو أُعطيـــكَ مِـــن عُمُـــري

عُمـــراً لِيُـــصبِحَ لـــي إنْ أنتَـــسِبْ نَـــسَبا!

يـــا ذا المُـــسَجَّى غَريبـــاً والعـــراقُ هُنـــا

يَـــشُقُّ قُمـــصانَهُ في البُعـــدِ مُنتَحِبـــا

وتَـــصرَخُ النَّجَـــفُ الثَّكلـــى مُرَوَّعَـــةً

رَجْـــعُ المـــآذِنِ فيهـــا يُفـــزِعُ القُبَبـــا

وأنـــتَ تَنـــأى فَتَلـــوي ألـــفُ مِئذَنَـــةٍ

رِقابَهـــا، ويَـــضُجُّ الـــصَّحنُ مُـــضطَرِبا!

وَلِلجِبـــالِ بِكُردِســـتانَ نائِحَـــةٌ

تَبكــي اليَنــابيعُ، والغابــاتُ، والرَّشَــبا

مِــن بيــرَه مَكــرونٌ يَمتــدُّ العَويــلُ بِهــا
حتــى تَــراهُ علــى حِمــرين مُنــسَكِبا!

أمّــا الجَنــوبُ فَيَــدري المــاءُ مــا هَجَعَــتْ
حِمريَّــةٌ فيــهِ، أو هَبَّــتْ عَليــهِ صَــبا

إلا جَــرَتْ أدمُعــاً خُرْسـاً شَــواطِئُهُ
وجاءهــا دَمــعُ كــلِّ النَّخــلِ مُنــسَرِبا!

أبــا فُــراتٍ.. أبــا روحــي وقــافيَتي
ومــا عَرَفــتُ لأوجــاعي سِــواكَ أبــا

مِــن يَــومِ فَتَّحــتُ عينــي والعــراقُ دَمٌ
يُطــوَى فَتَهتِــكُ عــن طُوفانِــهِ الحُجُبــا

مُعاتِبـــــاً تـــــارَةً.. مُـــــستَنكِراً أبَـــــداً

مُغاضِــباً.. ســـاخِراً حينـــاً، ومُكتَئِبـــا

لكـــنْ تَظَـــلُّ علـــى الحـــالاتِ أجمَعِهـــا

شَـوكَ العـراقِ الـذي يُـدمي إذا احتُطِبـا!

عَلَّمتَنـــي مُـــذْ شَـــراييني بَـــرَتْ قَلَمـــي

كيـــفَ الأديـــبُ يُلاقـــي مَوتَـــهُ حَرِبـــا

وكيـــفَ يَجعَـــلُ مِـــن أعـــصابِهِ نُـــذُراً

حينـــاً، وَحينـــاً نُـــذوراً كُلَّمـــا وَجبَـــا

وكيـــفَ يَـــصعَدُ دَربَ الجَمـــرِ مُـــشتَعِلاً

مُجانِفـــاً.. عَـــصَبٌ يُـــدمي بِـــهِ عَـــصَبا!

عَلَّمتَنـــي كيـــفَ أُهـــدي لِلعـــراقِ دَمـــي

شِـــعراً، وأخـــشى العـــراقيِّين إن نَـــضَبا!

- ٦٥ -

[مِــن قَبــلِ قَــرْنٍ لــو انَــا نَبتَغــي عِظَــةً
وَعَظتَنَــا أن نَــصونَ العِلــمَ والأدَبــا!]

* * *

سلامٌ أبا فخري عليك

في رثاء السيد مرزه القزويني

١٩٦٤



ألا إنَّ خَطْـبَ المـوتِ فيـكَ جَليـلُ

وبَعــدَكَ كــلُّ الـــذَّاهبينَ قَليـــلُ

وبَعــدَكَ كـــلُّ النَّـــازلاتِ تَوافِـــهٌ

وكـلُّ الـذي أسـعى إليـهِ هَزيـلُ

وكنـتُ جَزوعـاً في الأذى فتَركتَنـي

وعنـدي لكـلِّ الفاجعـاتِ قَبـولُ

ألا ليـتَ أنّـي مـا عَرَفتُـكَ سـاعةً

إذن كـــانَ حُزنـــي عَبـــرةً ويَـــزولُ

وَلكــنّ يَــشاءُ اللّهُ لــي أنّ تُجيرَنــي

وأن تَحتَفي بي والخطوبُ تَصولُ

وما كِدّتُ أدنو منكَ حتّى رَزأتَني

فيا ليتَ أُمّي بي عليكَ ثَكولُ!

وما كنتَ فَرداً إذ فقَدتُكَ إنّما

أخٌ وأبٌ في واحـــــدٍ وخَليــــــلُ

يقولون إنَّ الصَّبرَ في كلِّ حالةٍ

جميلٌ، وَهَل صبرٌ عليكَ جميلُ؟

سَلامٌ أبا فخري عليكَ أُطيلُهُ

بَلى، وسلامُ الأصدقاءِ طويلُ

وكـــانَ عِناقـــاً كـــلَّ يـــومٍ لقاؤنـــا
فَهَـل لِفَـمٍ يَـسعى إليـكَ سَـبيلُ؟

وَهَـــل لِيَـــدٍ باركتَهـــا إذ لَمـــستَها
رواءُ سَـــلامٍ مثـــلِ ذاكَ خَـــضيلُ

أُسَـلّمُ رَغـمَ الهَـمِّ، وَجهـيَ ضـاحكٌ
لأنَّ ســـنىً مِـــن ناظرَيـــكَ كَفيـــلُ

أنـــا اليـــومَ أســـتَعفيكَ أنّـــي مُـــسَلّمٌ
عليـــكَ ومِـــدرارُ الـــدُّموعِ يَـــسيلُ

أنـــا اليـــومَ أســـتَعفيكَ أنّـــيَ مُنـــشِدٌ
وكنـــتُ عَيِيّـــاً حيـــثُ أنـــتَ قَـــؤولُ

رَجَـوتَ سَـماعي فاعتَـذَرتُ مُغمغِمـاً
فكـلُّ حـديثٍ مِـن سِـواكَ دَخيـلُ

لقد كنتُ أستَحييكَ حَيّاً، وها أنا

وَحَقِّكَ، رغمَ الموتِ، منكَ خَجولُ

فَصَمتُكَ هذا اليومَ أبلَغُ ناطقٍ

وقولي وقولُ الآخرينَ فُضولُ

ثَكلتُكَ مِن ناعٍ يَصُكُّ مَسامِعي

لهُ مِدْيَةٌ بينَ الضُّلوعِ تَجولُ

ثَكلتُكَ تَنعى كلَّ خيرٍ وطيبةٍ

أما كانَ في هذي الألوفِ بَديلُ؟

أما كانَ في هذي الخُشارةِ مَقصَدٌ

لِسهمٍ أصابَ المجدَ فهوَ قَتيلُ

تَنادَيْتَ باسمٍ يعلمُ اللّهُ أنَّهُ

وَصــــولٌ لكــلِّ المكرُمـــاتِ فَعـــولُ

فسالَتْ بكَ الآماقُ دمعاً مُخضَّباً
ومالَتْ لكَ الأعناقُ حيثُ تَميلُ

سلامٌ أبا فخري عليك، وإنّني
لأُكبِرُ أنَّ الرَّاسياتِ تَزولُ

وأنَّ بِحاراً بينَ يومٍ وليلةٍ
تَجِفُّ، وتَغدو بَلقَعاً، وتَحولُ

بَلى، وَمعاذَ اللّهِ، ما كنتُ ناكراً
ولكنَّ وَطْءَ الموتِ فيكَ ثَقيلُ

سلامٌ أَبا فخري عليك، ودونَهُ
على رغمِنا، تُربٌ عليكَ مَهيلُ

يَمينــاً بمــا بَينـــي وبَينَــكَ إنَّنـــي

لِقلبــيَ مــا بــين الــضُّلوعِ مَــسيلُ

أمــرُّ علــى الــدِّيوان حيــثُ يَلُمُّنــا

ولــي نــاظرٌ عــن مُتَّكــاكَ كَليــلُ

وأجلسُ مَـذهولاً غريبـاً، ولـم يَكـنْ

يَـرينُ علـى وَجهـي لـدَيكَ ذهـولُ

وكيـف ذُهـولي عنـكَ إذ كـلُّ لَفتَـةٍ

تَلَفَّتَّهـــا للـــصالحاتِ دَليـــلُ

وإذْ أنـــتَ لِلــشَّاتينَ دِفءٌ ورَحمَـــةٌ

وللقـــائظينَ المُتعَـــبين مَقيـــلُ

وبيتُـــكَ للمُستَـــضعَفين حِمايـــةٌ

وهَـــدْيٌ لكـــلِّ العـــاثرين مُقيـــلُ

فيـا بـاذخَ الأمجـادِ فيـكَ ازوِرارَةٌ

ويـا يـانعَ الأعـوادِ فيـكَ ذبـولُ

ويـا كاتبـاً «أهـلاً وسـهلاً بمَـن أَتـى»

أَتـاكُم أَتـاكُم وافِـدٌ ونَزيـلُ

فمـا لـي أرى ديـوانَ بيتِـكَ خاويـاً

وقـد مَلأَتْـهُ رَنَّـةٌ وعَويـلُ؟

وَمالَـكَ يـا طَلْـقَ الـشَّمائِلِ حُلوَهـا

سَـكَتَّ ومنـكَ القـولُ حـين تَقـولُ؟

ألا مَرحَباً تُزجَى؟ ألا بعضُ مَرحَبٍ

بـصوتِكَ يـا مَـن يَحتفـي ويُنيـلُ؟

لقـد كنـتَ أَوفى النـاسِ حـين كتبتَهـا

لِتَبقـى إذا مـا حـان منـكَ رَحيـلُ

سـلامٌ أبـا فخـري عليـكَ فـدَهرُنا

بمثلِـكَ يـا خيـرَ الرِّجـالِ بَخيـلُ

تَـشاءُ لــيَ الأقــدارُ لا دَرَّ دَرُّهــا

وفــاءً لِــدَينٍ مــا إليــهِ وصــولُ

بَكـى جَـدُّكم جَـدِّي، وهـا أنـا جـازعٌ

عليــكَ، وخَلفــي لِلمنيَّــةِ غُــولُ(*)

يَمينــاً إلــى لُقيــاكَ أبقــى مُـسلِّماً

عليـكَ.. صـباحٌ ينطـوي وأصـيلُ..

(*) إشارة إلى رائعة الشريف الرضي في رثاء أبي إسحق الصابي.

* * *

النَّخلُ لا تنحني إلاّ ذوائبُهُ

في حادثٍ فاجع، في نيسان ١٩٨٧
فقد الرئيس البكر ولده. هذه
القصيدة كُتبت في احتفالات نيسان
من العام نفسه.



جَــلَّ ابتــسامُكَ عــن حُــزنٍ يواكِبُــهُ

أقبِـلْ، وإنْ كـان دمـعٌ أنـتَ سـاكِبُهُ

لا بـأسَ نيسان.. بعضُ الـدَّمعِ مَكرُمَـةٌ

وشَــيخُكَ الآن في صَــمتٍ يُغالِبُــهُ

لا بــأسَ نيـسان.. أدري أنَّــهُ شَـطَطٌ

مِــن الزَّمــان، وشَــيخي لا يُعاتِبُــهُ

رجولَـةً، غيـرَ أنَّ الـشَّمسَ قـد كَلِفَـتْ

وأنَّ فَجــرَكَ، رُغمــاً، مــالَ جانِبُــهُ

يــا سَــيِّدي كُــنْ عَــذيري أنَّ فيَّ أبــاً

وَقلـــبُ كـــلِّ أبٍ قلبـــي يُراقِبُـــهُ

فَكيـفَ إن كنـتَ أنـتَ القلـبَ.. مَعـذِرَةً

إنَّـا علـى الحُـزنِ نَنسـى مَن نُخاطِبُـهُا!

أقـولُ صَـبراً؟.. لمـاذا؟.. مَـن يُخَـوِّلُني

هـذا؟.. وأكـرمُ صـبرٍ أنـتَ صـاحبُهُ

لا تَحـزَنَنْ؟.. تَجـرؤ الألفـاظُ؟.. أيُّ فَـمٍ

يَقولُهـــا؟.. ثمَّ مَـــن ذا لا يُحاسِـــبُهُ؟

يَلــوحُ لــي سَــيِّدي أنَّ الزَّمــانَ علــى

قَـــدْرِ المـــروءةِ تأتينـــا عَواقِبُـــهُ

إنَّ الكبيـــــرَ كبيـــــراتٌ مُدَوِّيَـــــةٌ

أمجـــادُهُ، وَكبيـــراتٌ مَـــصائبُهُا!

يــا أيُّهــا الرَّجــلُ الــ تَبقــى أُبوَّتُــهُ

كَخَيمَـــةِ اللَّيـــلِ تأويهـــا كواكبُــــهُ

يَـــسيلُ جُـــرحُ ضـــياءٍ في حُـــشاشَتِهِ

لــو جانـــبٌ مِـــن سَـــناها خَـــرَّ ثاقِبُـــهُ

لكــنْ يَظــلُّ مَهيــبَ الــصَّمتِ مُــشتَمِلاً

بكِبْــــرِهِ، مُــــستَقيماتٍ مَناكِبُــــهُ!

رجولَـــةٌ أنَّ وَجْـــهَ الجُـــرحِ مُنكَـــتِمٌ

وإنْ تَفَجَّـــرَ في الأعمـــاقِ شـــاخِبُهُ

رجولَــةٌ أنَّــهُ مــا شــالَ مِــن عَجَــبٍ

يَومـاً، ولا انحَـطَّ عنـدَ الهَـمِّ حاجبُـهُ!

يَبقــى المُحــيطُ مَهيبــاً، هادِئــاً.. ولَقَــد

تَغلــي بِمــا لا تَــرى عــينٌ غَياهِبُــهُ!

يـا سَـيِّدي إنَّ بعـضَ الـشِّعرِ مُنفَجَـرٌ
مِــن الــضَّميرِ، تُلَبِّيــهِ رَواسِــبُهُ

تَجــيشُ بــالهَمِّ، كـلِّ الهَــمِّ، فَورَتُــهُ
وَتَجمَــعُ الحُــزنَ طُوفانــاً مَــسارِبُهُ

مِـن لَثغَـةٍ.. مَهْـدِ طِفـلٍ فـارِغٍ.. لُغَـةٍ
نَعتادُهــا. أمَــلٍ كُنّــا نُداعِبُــهُ

ثُــمَّ انتَهــى تارِكــاً ظِــلاًّ يُطالِعُنــا
وَمَوضِــعاً صَــوَّحَتْ فيــهِ مَلاعِبُــهُ!

يـا سَـيِّدي، حُـزنُ كـلِّ الأرضِ تُبـصِرُهُ
في مَرفَــأٍ رَحَلَــتْ عَنــهُ مَراكِبُــهُ!

يـا والِـدَ الـشِّبْلِ مَجـدولاً تَـسيرُ بِـهِ

وَهْنــاً علــى دَمِــهِ الزَّاكــي قَوارِبُــهُ

بِمَــنْ أُعَزِّيــكَ؟.. فِي لبنــانَ إخوَتُــهُ

دمٌ تَجـــيشُ بـــلا ذنـــبٍ غَوارِبُـــهُ

بِمَـنْ أُعَزِّيكَ؟.. هُـم أولادُكَ الـ قُتِلـوا

بـالأمسِ فِي مَجْمَـرٍ ضـاقَتْ مَذاهِبُـهُ

فَفَرَّجُوهـا بـأزكى مـا بِهِـم، دَمِهِـم

صـــانَتْ كَريمَـــةَ مَـــروانٍ كَتائِبُـــهُ!

بِمَــنْ أُعَزِّيــكَ؟.. هُــم أهلــوكَ مَــن

علــى فلــسطين.. مَــسلوبٌ وســالِبُهُ

تَعــاوَرُوا دَمَـــهُ.. يَغلـــي فَتَـــسفَحُهُ

حينـــاً عِـــداهُ، وأحيانـــاً أقارِبُـــهُ!

يـا سـيّدي.. أنْ تُواسـي أُمَّـةٌ رجُـلاً

بنَجلِـــــهِ، فتُواســـــيها مَناقبُـــــهُ

مجـدٌ، وإنْ كـان يُـدمي قلـبَ صـاحبهِ

ذيّـاكَ جـرحٌ ضـميرُ الـشَّعبِ عاصِـبُهُ

مـا الثَّكـلُ ثكلَـكَ.. مـوتُ الحـرِّ مـأثَرةٌ

جـــرحٌ كـــريمٌ مُـــضيئاتٌ مَـــساكبُهُ

الثَّكــلُ ثكــلُ الــذي ماتــتْ مُروءتُــهُ

فمـــا تَنـــزُّ سُـــوى قَـــيْحٍ مَـــضاربُهُ!

الثَّكـلُ ثَكـلُ الـذي لـم يَبـقَ منـه سـوى

شَـــتيمةٍ أبَـــدَ الـــدُّنيا تُـــصاحبُهُ

إنَّ الـــذي هـــزّتْ الـــدُّنيا خيانَتُـــهُ

غيــرُ لــذي هــزَّتْ الــدُّنيا نَوائبُــهُ!

يـا أيُّهـا الرَّجُـلُ العِمـلاقُ، مـا كَـدرَتْ

إلا بِمَـــوتِ الـــذي يَهـــوى مَـــشارِبُهُ

تَألَّقَـــتْ صُـــعُداً أيّامُـــهُ، وَسَـــمَتْ

أعلامُـــهُ، وَزَكَـــتْ فَرعـــاً نَجائِبُـــهُ

وطـــالَ حتـــى كـــأنَّ الـــشَّمسَ هامَتُـــهُ

وصـــالَ حتـــى كـــأنَّ المَـــوتَ صـــاحِبُهُ

وصـــادَمَتْ رُجُـــمَ الـــدُّنيا كَتائِبُـــهُ

وَزاحَمَـــتْ قِمَـــمَ الـــدُّنيا مَواكِبُـــهُ

هـــذا التُّـــرابُ الـــذي تَبقـــى سِـــقايَتُهُ

دَيْنـــاً، وكـــلُّ أخـــي دَيْـــنٍ نُطالِبُـــهُ

شـــارَكتَ أهلَـــكَ فيـــهِ إذ جَرَيـــتَ لَـــهُ

دَمـــاً أعَـــزُّ عِبـــادِ اللّهِ ســـاكِبُهُ!

يـــا سَـــيِّدي كـــلُّ مَولـــودٍ لَـــهُ أجَـــلٌ

وكـــلُّ مَـــوتٍ طَـــويلاتٌ مَخالِبُـــهُ

لكــنْ يُقَــصِّرُ منهــا أنْ تَحُــطَّ علــى

جَلْـدٍ، وَإنْ هِـيضَ، تَلـريهـ [illegible]ـبِ.

يـا أيُّهـا الرَّجُـلُ العِمـلاقُ جَـذرُكَ مِـن

هــذا التُّــرابِ، ومـا تَفنــى عَجائِبُــهُ

تَهُــبُّ كــلُّ ريــاحِ الأرضِ عاصِــفَةً

والنَّخــلُ لا تَنحَنـــي إلا ذَوائِبُـــهُ!

وتَــستَغيثُ جِــراحُ الأرضِ أجمَعُهـــا

وَجُرحُنـــا أبَـــداً خُـــرْسٌ نَوادِبُـــهُ!

يَظَــلُّ يَزخَـــرُ مِـــن كِبْـــرٍ وَمَوجِـــدَةٍ

حتـــى تَفَجَّـــرَ بُركانـــاً لَواهِبُـــهُ!

عُنْـفَ الفُـراتِ، إذا هِيـضَتْ مَنابعُـهُ

فاضَــتْ فأغرَقَــت الــدُّنيا غَوارِبُــهُ!

يــا أيُّهــا الرَّجُــلُ العِمــلاقُ مَعــذِرَةً
لا يُتْئِــرُ الــدَّهرَ إلا مَــن يُواثِبُــهُ

إنِّــي رأيــتُ إلــى الأقــزامِ تُخْطِــئُهُم
لِفَــرْطِ مــا صَــغُروا جُرْمــاً، نَوائِبُــهُ

أولاء لا فَقْــدُهُم أبكــى، ولا دَمُهُــم
زَكَّــى، ولا مَيْــتُهُم قامَــتْ حَرائِبُــهُ

لكــنَّهُم هَمَــلُ التــاريخ، تَلفُظُهُــم
أدنــى ذُراهُ، وتُــؤويهِم خَرائِبُــهُ

فَيــا كبيــراً علــى الأحـداثِ، مُنـصَلِتاً
لِلنّــازِلاتِ، مُعَــدّاتٍ رَكائِبُــهُ

مَحَـــشَّدات بِـــلا لِـــينٍ تَجارِبُـــهُ

مـــؤَجّلاتٍ إلـــى حِـــينٍ غَواضِـــبُهُ

لا أنَـــزلَ اللّهُ قَـــدْراً أنـــتَ رافِعُـــهُ

ولا أطـــاحَ سَـــناماً أنـــتَ غارِبُـــهُ

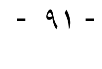
ولا تَـــزَلْ أُمَّـــةٌ يَهـــدي مَـــسيرَتَها

سَـناكَ يـا مِـشعَلاً نَبقـى نُراقِبُـهُ..!

* * *

بين يَدَي عبد الرحيم عمر..

كتبت هذه القصيدة في الطريق إلى عمان. وافتتح بها مهرجان الرَّمثا الشعري بُعَيد وفاة شاعر الأردن الكبير عبد الرحيم عمر.



قَـــرِّبْ رِحالَـــكَ مـــن رِحـــالي
فمَآلُنـــــا نَفـــــسُ المَـــــآلِ

نَفـــــسُ المَفـــــازَةِ والخُطـــــى
لكـــنْ سَـــبَقتَ أبـــا جَمـــالِ!

أَدريـــــكَ عُمـــــرَكَ غـــالِبي
لكـــنْ رِهـــانُ المـــوتِ غـــالي!

حتّـــى وأنـــتَ تَمـــوتُ، تـــأبى
أن تمـــوتَ وأنـــتَ تـــالي!

فـــــسَبقتَنا.. لـــــم تَلتَفـــــتْ

حتـــى لِبَيتِـــكَ وهـــو خـــالي!

قَـــرِّبْ رِحالَـــكَ مـــن رِحـــالي

واشـــبِكْ حِبالَـــكَ في حِبـــالي

فأنـــا وَحيـــدٌ، واهـــنُ الـــ

خُطُـــواتِ.. مُرتَجِـــفُ الظِّـــلالِ

متَغـــــرِّبٌ حَـــــدَّ الـــــضَّياع

مؤجَّـــــلٌ حَـــــدَّ المَـــــلالِ

لا وُتِّـــرَتْ قوســـــي كعهـــدِكَ

بـــي.. ولا رِيـــشَتْ نِبـــالي

لكـــنْ أعـــــيشُ ولا تَـــــسَلْ

مــاذا أعــيشُ علــى اكتِهــالي

وأســـيرُ.. هـــا أنّـــذا أســـيرُ

مـــع القطيـــعِ بـــلا ســـؤالِ

وعـلامَ أسـألُ..؟.. مَن سأسـألُ؟؟

مَـــــن بأســــئلَتي يُبـــــالي؟

وطريقُنـــــا هـــــذي المَتاهـــــةُ

والــــدَّليلُ أبــــو رُغـــــالِ!

قـــرِّبْ رِحالَـــكَ مـــن رحـــالي

واغفِـــرْ شَـــكاتيَ وانفِعـــالي

خمـــــسونَ عامـــــاً والأكُـــــفُّ

علـــى الزِّنـــادِ أبـــا جمـــالِ

خمـــسونَ عامـــاً.. أنـــتَ تَـــذكرُ

كَـــم مِـــن الغُـــرَرِ الغَـــوالي

أنـــــــــــــــــــــــشدتَهُنَّ وردَّدتْ

أصـــــداءها معَـــكَ اللَّيـــالي

خمـــــــسونَ عامـــــاً والمَـــــآذنُ

تَـــــستَفيقُ علـــــى بِـــــلالِ!

خمـــــسونَ عامـــــاً والــــصَّلاةُ

تُقـــــامُ موحِـــــشَةَ الجَـــــلالِ!

ودماؤنـــــا تَجـــــري، ونحـــــنُ

نُمِـــــدُّهنَّ بـــــلا كَـــــلالِ

خمـــــسونَ عامـــــاً جُنِّـــــدَتْ

حتَّـــى الحجـــارةُ في القتـــالِ!

- ٩٥ -

حتَّـــى الـــصِّغارُ نَمَـــوا وَشـــابُوا

بـــــين هاتيـــــكَ الـــــصَّوالي

وألآن.. هـــــا أنَـــــذا أمـــــامَ

حـــــضورِكَ الجَـــــمِّ الكَمـــــالِ

أتَـــرى إلـــى النُّقـــصانِ فِيَّ؟!

وهـل تُحِـسُّ مَـدى انخِـذالي؟؟!

لـــو كنـــتَ تُبـــصِرُني لِتَعـــرِفَ

أيُّ مَذبَحَـــــــــةٍ بِبـــــــــالي

وأنـــــا أرى وطَنـــــي يُبـــــاعُ

وكـــــلَّ زَرعـــــي للـــــزَّوالِ

ودمـــــــاءَ أولادي أمـــــــامي

تَـــستَحيلُ إلـــى احتِفـــالِ

تَتَــــصافَحُ الأيْــــدي عليهـــــا

وهــــي تُــــشرَبُ للثُّمــــالِ!

ومَحــــــارِمي.. وأنــــا أقــــولُ

لهـــا: أمـــوتُ ولـــن تُنـــالي

وإذا بهـــــا مِــــن مَولــــدي

قــــد هُيِّئَـــتْ للإحـــــتلالِ!

فــــإذا اشــــــتَعَلْتُ فـــأيُّهُم

لا يُــــستَفَزُّ مِـــن اشــــتعالي؟

وإذا رمَيْــــتُ فَمَـــــن يَــــدي؟

وإذا انتَخَيــتُ فَمَــن رِجــالي؟!

الحَمــــــــــدُ للهِ الــــــــذي

خـــذَلَ الأوائِـــلَ بـــالتَّوالي!

الحَمـــــــــــدُ للّهِ الــــــــــذي
دفــعَ الــيقينَ إلــى الــضَّلالِ!

الحَمـــــــــــدُ للّهِ الــــــــــذي
تَــركَ الــرّؤوسَ بــلا عِقــالِ!

هــــذي نهايــــاتُ المطـــــافِ
وتلــــك خاتمــــةُ النِّـــضالِ!

قَـــرِّبْ رِحالَـــكَ مـــن رِحـــالي
وارفُـــقْ وأنـــتَ تـــرى هُزالـــي

أنــــا في زمــــانٍ لا يُعـــــينُ
ولا يُعـــــانُ بـــــأيِّ حـــــالِ!

أذنابُـــــهُ عَـــــدَدَ الحَــــصى

وذئابُـــــهُ عَـــــدَدَ الرِّمـــــالِ

وَرَحـــاهُ مـــا تَنفَـــكُّ تَطحَـــنُ

أهلَــــــهُ حتَّــــــى الثِّفــــالِ

فــــإذا التَفَــــتُّ إلـــى الـــيَمين

أو التَفَــــتُّ إلـــى الـــشِّمالِ

أكــوامُ مَطحــونينَ مَــدَّ العــينِ

ماثلـــــــــــةٌ حِيـــــــــــالي

وَرُكـــــــامُ مَطعــــــونينَ، لا

في الجــسمِ، لكــنْ في الخِــصالِ

سَــــقَطَ الزَّمــــانُ فأهلُــــهُ

يَتَــــسابقونَ للابتِــــذالِ!

يَتَبجَّحـــــــــون بـــــــــأنَّهم

نَـصَروا الحــرامَ علــى الحــلالِ

وبـــــــــأنَّهُم يتَهــــــــــافَتونَ

علـــى الـــصَّغائرِ والـــسِّفالِ

وبـــأنَّ أقـــصى مـــا يؤمِّـــلُ

خَيِّـــرُهُم عـــيشُ المَـــوالي!

هـــذا زمـــانٌ مـــا حَلَمنـــا

أنْ يَجـــيءَ أبـــا جَمـــالِ

مَـــن مـــاتَ مـــاتَ، ومَـــن يَعِـــشْ

فللانتحـــــــارِ أو الخَبـــــــالِ

أو يَـــستَحيلُ، وعـــن رِضـــاهُ

نِخالَـــةً بـــينَ النِّخـــالِ!

أرأيـــتَ مَـــن منّـــا يُغـــالي؟

مَـــن يَـــستَفزُّ.. ومـــن يُمـــالي؟

مَـــن يَنحنـــي.. مَـــن يَـــستطيلُ

ومـــن يُطـــأطيءُ وهـــوَ عـــالي؟

ومَـــن الـــذي يَحـــتَجُّ حـــين

تُبـــاعُ أعـــراضُ الرِّجـــالِ؟

أنـــتَ احتَجَجـــتَ بكـــلِّ موتِـــكَ

واحتَجَجْـــــتَ بـــــالاعتزالِ!

وتَركتَنـــــا.. لـــــم تَلتَفـــــتْ

وأقَمْـــتُ مُنكَفـــيءَ الـــدِّلالِ!

أبكـــي علـــى وَطنـــي، وتَـــذبحُني

مَخافَــــــــةُ أن يُـــــــــوالي

وأذودُ عنـــــــه بأضـــــــلُعي

وأذودُهُ هـــــوَ عـــــن عيـــــالي!

فـــانظُرْ إلـــيَّ وقـــد غَـــدَوتُ

أخـــافُ مـــن أهلـــي، وآلـــي

وأقَمْـــتُ في جُـــرحَين.. جُـــرحِ

يَـــدي.. وجـــرحِ أبـــي وخـــالي

وكلاهُمـــــا.. يَفنـــى الزَّمـــانُ

ولا يَفـــــــيءُ للانـــــــدِمالِ!

لكنَّنـــــي عبـــــدَ الـــــرَّحيمِ

وحَـــقِّ بَيتِـــكَ وهـــو غـــالي

مـــا نِمْـــتُ يومـــاً والعـــراقُ

مُعَـــــــرَّضٌ للإغتيـــــــالِ!

كـــلاّ، ولا أرخَيـــتُ قوســـــي

وهـــو مُـــشتَجِرُ النِّـــصالِ

لـــي فيـــهِ أنَّ دمـــي يَـــسيلُ

وأنَّ أورِدَتـــــــي تُلالـــــــي

وبأنَّـــــهُ عُمـــقَ الـــضَّمير

وحبُّـــهُ عمـــقُ الخيـــالِ:

عبـدَ الـرحيم.. وقـد نـذَرتُ

دمـــي، وجـــاوَزتُ احتمـــالي

ودخَلـــــتُ بيتَـــكَ مثلَمـــــا

أدمَنْـتُ في الحِجَـجِ الخَـوالي

فرأيتُنـــــي.. والأهـــــلُ أَهلــــي

والرِّئـــــالُ بــــــهِ رِئـــــالي

لكنَّنـــــــي مثـــــلُ الغَريـــــب

تَكـــــادُ تُنكِرُنـــــي ظِلالـــــي

وأقــولُ: مــا لــي..؟.. صــادقٌ

أنـا يـا تُـرى إن قلـتُ: مـا لـي؟!

مــا لـــي مَنامُـــكَ في التُّـــراب

وكنــــتَ عملاقـــاً قِبــــالي!

وجنــــوحُ صَـــوتِكَ للنُّعـــاسِ

وكــــان يَفتَـــرِعُ الليــــالي

ومَـــــآلُ تلـــــكَ الأريَحيَّـــــةِ

والفتــــــــوَّةِ للــــــــزَّوالِ

وبـــأنَّني أمـــسَيتُ أَدمـــى الـــ

ثــــاكلينَ أبــــا جمــــالِ

ســـــاءلتُ نفـــــسي إذ ذُرى

عمّـــان تَلمـــعُ في الجبـــالِ

والليـــلُ مُرخـــىً في الأزِّقـــةِ

والمنـــــازلِ.. والــــــدَّوالي

وأنـــا أَدورُ سُـــدىً بعينـــي

في الوهــــادِ، وفي الــــتّلالِ

لأرى لبيتِــــــكَ، إن تَــــــكُ

الأقمـــارُ مازالَـــتْ تُلالـــي

أتَــسمَّعُ الــضَّحَكاتِ.. والأســمارَ

أنظُــــــرُ للهِـــــــلالِ

فـــأراهُ يبكـــي فـــوقَ بَيتِـــكَ

وهـــوَ يَلمـــعُ في العَلالـــي!

ودخلـــتُ في عمّـــان.. منكَـــسِرَ

الخُطـــى.. وَجِـــلَ الـــذُّبالِ

أأزورُ قبـــــــــــرَكَ.. أم أزورُكَ

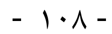
في الـــصَّباحِ أبـــا جمـــالِ؟!

* * *

وداعاً أبـا سدير

في رثاء جبرا إبراهيم جبرا

١٩٩٥



في وَداعِكَ جبرا

سأستَحضرُ الآنَ بغدادَ من عُمقِ خمسينَ عامْ

لِتُلقي عليكَ السَّلامْ

شَناشيلُها، وأزِقَّتُها،

وفَوانيسُها في الظلامْ

وقَوارِبُها السَّابحاتُ لأُمِّ العِظامْ (*)

بدَرابِكها، والهَلاهلِ،

(*) أمّ العظام: جزيرةٌ في نهر دجلة.. في قلب بغداد.

والشَّمعِ يُسرَجُ في كَرَبِ النَّخلِ..

أستَحضرُ الآنَ بغداد

من نَومِ خمسينَ عامْ

لِتُبصرَ أنَّ الفتى الجاءَها من بلادِ الغَمامْ

وَفى.. فقَضى عُمرَهُ بين أحضانِها

وأغواهُ يوماً دُجاها فنامْ..

سأوقظُ بغدادَ جبرا

سأوقظ مَقهى حَسَنْ عَجْميَ الآن(*)

ومقهى الرشيد

والبرلمانْ

(*) حسن عجمي، والرشيد، والبرلمان: أسماء مقاهٍ مشهورةٍ في شارع الرشيد ببغداد وكانت تضجّ بالأدباء آنذاك.

وألتَمِسُ الآن «بدرا»(*)

أقولُ له إنَّ جبرا

وحيدٌ بحُفرَتِهِ

وهو لم يألَف الموتَ بَعدُ

فَساعِدْهُ

إنَّ وليدَ بنَ مسعود(**)

يَقبلُ كلَّ الفَواجِعِ

إلاّ فَجيعةَ أن يَتركوهُ وحيداً

فَساعِدْهُ

(*) بدر: بدر السياب.

(**) وليد مسعود: بطل رواية جبرا المشهورة.

سوف يَجيئُكَ «بدرُ» كعادتهِ

وأوراقُهُ البِيضُ تَحتَ وسادَتِهِ

قد يمرُّ على عجَلٍ بابنِ مردانْ(*)

يُخبِرُهُ أنَّ جبرا أتى

وتَعلَمُ أنَّ «حُسيناً» سيَفزَعُ كالطِّفلِ

يُفزِعُ أهلَ القبورِ جميعاً

ويَجهَلُ للآنْ

زهرةُ مردانْ

أنَّ القبورْ

وأنَّ القصورْ

(*) حسين مردان: شاعر عراقي كبير توفي في أواسط السبعينيات.

عالمٌ غيرُ عالَمِنا

يَجهلُ زَهرةُ مردانْ

أنَّ «قصائدَهُ العاريات» اكتَسَيْنَ قلوبَ العذارى [*]

وقلوبَ السُّكارى

وقلوبَ المُحبّين

يجهلُ أنَّكَ جئتَ لَهُ بِندى العاشقين

وليدَ بنَ مسعود..

وأُودِعْتَ كالناسِ قَبرا

وموتُكَ لا يُشبهُ الموتَ جبرا

(*) قصائد عارية: ديوان مشهور لحسين مردان.

رأيتُ إليكَ خلالَ الشهورِ الأخيرةِ

تُورِقُ.. تورقُ

حتّى انحَنَتْ تحتَ أحمالِهِنَّ جميعُ غصونِكَ

هل كنتَ تركضُ للموتِ جبرا بكلِّ حياتِكَ؟؟

أم كنتَ تَحجبُهُ عنكَ

مُختَبِئاً خلفَ نَبضِكْ

ومُختبئاً خلفَ رَفضِكَ

حَدَّ الفَزَعْ

حَسناً..

سأُنادي بُلَندَ وأكرمَ

أدعو رشيدَ بنَ ياسين

أدعو البُريكان(*)

أسألُهم أن يَعودوا بذاكَ الزَّمانْ

مِن بطونِ المقاهي العتيقه

والتّخوتِ الغَريقه

بالحكايات..

أيام كان أعزَّ سَعادتِنا

أنْ نؤلِّبَ مَوجاً على جُرفِهِ

ونُثيرَ أديباً على حَرفِهِ

(*) بلند الحيدري، أكرم الوتري، رشيد ياسين، ومحمود البريكان: أصدقاء جبرا وعصبته.. وهم مع بدر ونازك طليعة التجديد في الشعر العربي المعاصر.

كنتَ أنتَ،

ولم نَكُ نَشعرُ

مِحوَرَ كلِّ مُشاكسَةٍ

كنتَ تَرطمُ غيماً بغيمْ

وتنظرُ مبتَهجاً كيفَ يَشتعلُ البَرقُ

ثمَّ يَهلُّ المطَرْ..

الكتابةُ ليسَتْ بَطَرْ

هكذا كنتَ تُوحي لنا

دونَ أن تَتعالَم جبرا

وكنّا نهيمُ بهذا الفتى الجاءنا من بلادِ الغَمامْ

وفي قلبِهِ هاجسٌ لا ينامْ

أنَّ للحَرفِ جمرَتَهُ

أنَّ للشِّعرِ خَمرَتَهُ

أنَّ مَن يكتبُ الشِّعرَ بين النّبوءةِ والموتْ

قد يَفقدُ الصَّوت

لكنَّهُ قَطُّ لا يَتنازَلُ عن صَولجانِ نبوءتهِ..

وها أنتَ ذا

بعدَ سبعين عاماً ونَيْفْ

وسبعين بَرْداً وصَيفْ

تتنازَلُ عن عَرشِ صوتِكَ جبرا

وتَسكنُ كالنَّاسِ قبرا

وسلامٌ عليكْ

أنتَ عُمرَكَ لم تَتنازلْ وليدَ بنَ مسعود

عن نجمةٍ في يَدَيكْ

ولهذا خَشِيتُ عليكَ من الموتِ جبرا

فكم كنتَ تَقلَقُ مِن أن يَجيءْ

وما برحَتْ بعدُ لؤلؤةٌ في مَحارتِها

وهيَ ترنو إليك..

* * *



ألقُ الصَّمت

في ذكرى رحيل الشاعر نزار قباني



ألَـــقُ الـــصَّمتِ، وصَـــمتُ الألَـــقِ

يَـــــسبَحانِ الآنَ فـــــوقَ الـــــورَقِ

مَـــــــلاّ أورِدَتـــــــي أشـــــــرِعَةً

مُمعِنـــــاً بَحّارُهــــــا فِي الغَــــــرَقِ

وأنـــــا أرقَـــــبُ أطيافَهُمــــــا

والـــسَّنا، كــلُّ الـــسَّنا، فِي حَـــدَقي!

أَلَـــقَ الـــصَّمتِ.. تُـــرى أيـــنَ مَـــضى

ذلـــكَ الـــصَّوتُ كـــأنْ لـــم يَنطِـــقِ؟

كيـــفَ هاتيـــكَ الـــرُّؤى أجمَعُهـــا

- ١٢٢ -

جَنَحَـــتْ مثـــلَ جنـــوحِ الـــشَّفَقِ؟

لـــم يَعُـــدْ غيـــرَ حـــروفٍ أنجُـــمٍ

وحَفيـــــفٍ جَرَيـــــانَ الغَـــــدَقِ

يَمـــلآنِ الـــرُّوحَ حُبّـــاً وَسَـــنىً

وَجَمـــــالاً عاريـــــاً لا يَتَّقـــــي

كـــلُّ مَـــن يَعـــشَقُ لا يُنكِـــرُهُ

وَحـــدَهُ يُنكِـــرُ.. مَـــن لـــم يَعـــشَقِ!

أيُّهـــا الخـــالِقُ.. يـــا أبلَـــغَ مَـــن

صَـــوَّرَ الحُـــبَّ فلَـــم يَختَلِـــقِ

لـــم يُـــوارِبْ.. لـــم يَنَـــلْ أجنِحَـــةً

حَمَلَـــتْ رؤيـــاهُ ضِـــيقُ الأُفُـــقِ

عُمـــــرَهُ لِلحُـــــبِّ في ناموسِـــــهِ

حُرمَـــــةٌ، بَـــل ذِمَّـــــةٌ فِي العُنُــــقِ

أن يُناجيـــــــهِ نَبـــــيلاً فارِســـــــاً
لا كَمــــا يَفعَـــلُ واهــــي الخُلُــــقِ

وَلِــــذا كــــانَ أميـــــراً فِي الهَـــوى
وأســــيراً فيــــهِ سَـــقَّى وَسُــــقي!

يــا نِــزارَ الحُــبِّ.. هَــل مِــن لُغَــةٍ
تَحتَفــــي بـــــي، وَلِـــسانٍ ذَلِــــقِ

يُـــسقِطُ المَيِّـــتَ مِــــن أحرُفِهــــا
وَيُبَقّـــــي ريـــــشَها فِي طَبَقـــــي

عَلَّنـــــي أُفلِـــتُ مِـــــن أجنِحَتــــي
لِـــدُنىً كُنّـــا عَليهـــا نَلتَقـــــي

يَـــومَ كُنّـــا نَمـــلأُ المِربَـــدَ فِي

ليـــلِ بَغـــداد بِـــذاكَ العَبَـــقِ

وَيَلُـــمُّ الفَجـــرُ مـــن أقـــدامِنا

مـــا تَـــوارى في زَوايـــا الطُّـــرُقِ!

يـا صـديقي.. يـا نَـسيبي.. يـا أخـي

يـــا عِراقـــيَّ الهَـــوى والرَّهَـــقِ

هَـــل بَقايـــا «مَرحَبـــاً» تَـــسمَعُها

منـــكَ آذانُ العـــراقِ المُرهَـــقِ (*)

عَلَّهـــا تَمـــسَحُ مِـــن أوجاعِـــه

عَلَّهـــا تَجمَـــعُ بَعـــضَ المِـــزَقِ

عَلَّهـــا تُـــصبحُ أدمـــى مَرحَبـــاً

(*) إشارة إلى قصيدة نزار التي مطلعها:

مرحباً يا عراق، جئتُ أغنّيك وبعضٌ من الغناء بكاءُ

تتَهـــــادى نَحــــوَهُ مِــــن جلَّـــقِ!

رُبَّمـــــا بَلقــــيسُ تَـــصحو قَمَـــراً

باكيــــاً في الكـــرخِ عنـــدَ الغَـــسَقِ

فـــــإذا لاقَيتَهــــا سَـــلِّمْ لَنــــا

قُـــلْ لهــا: أهلُــكِ.. هــذا مــا بَقــي!

ربَّمــــا دجلَــــةُ تُخفــــي دَمَهــــا

وَتُغَطِّــــي مــــا بِهــــا مِــــن حُــرَقِ

لِتُلاقـــــــي فيــــكَ زَوجَ ابنَتِهـــــا

فَتُحَيِّيـــــــكَ بِوَجـــــــهٍ مُـــــــشفِقِ

رُبَّمـــا تُبـــصِرُ مِـــن صَـــحبِكَ مَـــن

لـــم يَـــزَلْ يَـــسألُ في مُفتَـــرَقِ!

رُبَّمـــــا.. كَـــم رُبَّمــــا نُطلِقُهـــــا

فِي مآســـــينا بيـــــأسٍ مُطبِــــــقِ

يّـــذهَبُ الـــصوَّتُ وَيَبقـــى رَجعُـــهُ
آهَـــــةً فِي فَمِنـــــا المُختَنِــــــقِ!

يـــا نِـــزارَ الحُـــبِّ يَكفيـــكَ غِنـــىً
أنْ تَمُـــــرَّ الآنَ مثـــــلَ الرَّمَـــــقِ

كـــــلُّ بَيـــــتٍ عَرَبـــــيٍّ نَفحَـــــةٌ
منـــــكَ فيـــــهِ سَـــرَيانَ الحَبَــــقِ

الـــذي يـــأرَقُ مِـــن فَـــرْطِ الجَـــوى
فَلَـــــهُ منـــــكَ شَـــــريكُ الأرَقِ

والـــــذي، أو والتـــــي يُقلِقُهـــــا
هـــــاجِسٌ، تَـــــسبقُها فِي القلَـــــقِ

والـــــذي خـــــانَ هَـــــواهُ إلفُـــــهُ
قَبلَـــــهُ تَـــــشهَقُ إنْ لـــــم يَـــــشهَقِ

مَـــــرَّةً يَـــــشرَقُ أصـــــحابُ الهَـــــوى
بَينَمـــــا أنـــــتَ أبِيـــــدُ الـــــشَّرَقِ

كـــــلُّ حُـــــبٍّ أنـــــتَ فيـــــهِ شـــــاهِدٌ
وَشَـــــريكٌ في الأســـــى والرَّنَـــــقِ!

أنـــــا أدري أنَّهـــــا مَجمَـــــرَةٌ
كـــــلُّ مَـــــن يَعْلَـــــقُ بالـــــشِّعرِ شَـــــقي

ربَّمـــــا يَـــــذبَحُنا في لَحظَـــــةٍ
بيـــــتُ شِـــــعرٍ بِنَقـــــاءِ الفَلَـــــقِ!

إنَّ حَرفـــــاً بـــــالهوى مُحتَرِقـــــاً
عِـــــدْلُ حَـــــرفٍ بـــــاللَّظى مُحتَـــــرِقِ

ليــــتَ هـــذا الكـــونَ يَغـــدو كلُّـــهُ

عاشِــــقاً لا غارِقــــاً في العَلَـــقِ!

* * *

كالبحرِ صوتُك..

ألقيت في حفل أربعينية

محمود درويش في دمشق



قيلَ لي جئتَ بغداد مِن قبلِ يَومَينِ محمود

لم أصَدِّقْ،

فَما رَنَّ في مَكتَبي جَرَسُ التلفون

ولا قالَ..

ثمَّ تَنَبَّهتُ..

كيفَ؟..

وبغدادُ ما عادت الآن؟!..

ولا رَنَّ..؟

قالوا بَلى،

جَرَسٌ يُشبِهُ الموت

رَدَّدَ.. محمود

وانقَطَعَ الصَّوت

صَدَّقتُ شَكِّي

بَغدادُ ما عادَت الآنَ بغداد

وصَوتُكَ محمودُ يَنأى

تُتابِعُ كلُّ العَصافيرِ أمواجَهُ

وهيَ تَبكي..

كــالبَحرِ صَــوتُكَ يــا محمــودُ يــأتيني

هَــــديرُ أمواجِــــهِ يَبــــري شَــــراييني

كـــالبَحر.. أســـهَرُ طـــولَ اللَّيـــلِ أرقَبُـــهُ
يَنـــأى، فَيَنـــشُرُني دَمعـــاً ويَطـــويني
وأنـــتَ تُوغِـــلُ في المَجهـــولِ أشـــرِعَةً
مُحَمَّـــــلاتٍ بـــــآلافِ الـــــدَّواوينِ
طَوَيتَهـــا مُوجَعـــاً، والعُمـــرَ أجمَعَـــهُ
لـــم تُبْـــقِ منهـــا هُنـــا غَيـــرَ العَنـــاوينِ
وَنبـــضَةً عَلِقَـــتْ تَبكـــي بِزاويَـــةٍ
في أرضِ غَـــزَّةَ بَـــينَ المـــاءِ والطِّـــينِ
أكـــادُ أســـألُ مَـــن مِنَّـــا أمَـــضُّ أســـىً
أنـــا العراقـــيُّ، أم أنـــتَ الفلـــسطينيّ؟!

عـــشرينَ عامـــاً تآخَينـــا علـــى دَمِنـــا
نَجـــري بِـــهِ نازِفـــاً بَـــينَ الـــسَّكاكينِ

كـــلُّ المَعـــابِرِ خَـــضَّبنا مَـــدارِجَها

مِــن يَــومِ ذيقــار حتــى يَــومِ حِطِّــينِ

مؤَمِّليـــنَ الـــصِّغارَ الـواثِقيـــنَ بِنـــا

بِبَعــثِ مَجْــدٍ مَـدى التــَّاريخِ مَدفــُونِ

تــُرى أأحــسَنتُما يــا أنتــُما وَجَعــاً

أم رُحتــُما حَطَبــاً بَيــنَ الكَوانيــنِ؟!

عــشرينَ عامــاً طَــوَيناها علــى عَجَــلٍ

نــَموتُ مــا بَيــنَ تِــشرينٍ وَتِــشرينِ

حتــى ذوَيْــنا.. وهــذا أنــتَ رُحْــتَ سَــنَىً

أمَّــا أنـــا، فــَلأيِّ اللَّيـــلِ تُبْقيـــني؟!

يا أقـرَبَ النـاس مِـن جُرحـي وَمِـن وَجَعـي

كم ضَجَّ يأسي، وَكم حاوَلتَ تَطميني؟

كلُّ المَرابِدِ كُنَّا في مَجامِرِها
وَإخوَةُ الشِّعرِ بَينَ الحُورِ والعِينِ

وكنتَ تُوري لَياليهِم مُشاكَسَةً
فَيَضحَكونَ، ولكنْ ضِحكَ مَغبونِ!

ما جئتَ بغداد إلا والنَّخيلُ لَهُ
مِمَّا شَدَوتَ نَزيفٌ في العَراجينِ!

وَلا انقَضى مِربَدٌ يَوماً حَضَرتَ بِهِ
إلا وأنتَ حَبيبٌ لِلمَلايينِ

وكنتُ محمود أُدني منكَ مَجمَرَتي
وكنتَ، مُحتَفِياً بالجَمرِ، تُدنيني

حيناً تُؤاخي المآسي بَينَ أحرُفِنا

وَيَفعــلُ الحُــبُّ بَــينَ الحــينِ والحيــنِ

حتــى لَيَكتــُبَ كــلُّ وَجْــدَ صاحِبِــهِ

لأنَّـــهُ بِــشَجاهُ جِــدُّ مَــسكُونِ!

هذي القصيدةُ شِعري.. أمس عِشتُ

وَعِــشتُ فيهــا.. وكــادَتْ أنْ تُوافيــني

كَتَبتَـها أنـتَ.. قـُلْ لـي كيـفَ تَـسبقُني

إلــى دَمــي، مُــستَحِماًّ في بَراكيــنيِ؟!

محمـود.. تَذكُـرُ هـذا..؟؟.. قُلتَـهُ عَلَـناً

وأنــتَ تـَرجفُ حتــى كـِدتَ تُبكيــني

وَكـــانَ أوَّ لَ يــَومٍ لِلِّقـــاءِ لَنـــا

وَالآن.. مــا زلــتَ حتــى الآن تَــشجيني

مـا زلــتَ تُوقــِظ ُأوجـاعي فَتُلهــِمُني

وَتُوقـــِدُ الـجــَمرَ حتـــى في رَياحيـــني

يـــا عُنفـــوانَ فِلـــسطينٍ بأجمَعِهـــا

وَيـــا فَجيعـــَة َأهـــلي في فِلـــسطينِ

بَـل يـا فـَجيعَة َكـلِّ الـشِّعرِ في وَطنـي

والنـــَّخْلِ، والأرزِ، والزَّيتـــونِ، والتـــِّينِ

وَيـا فَجيعـَة َحتـى الطـَّيرِ، أعذَبِهـا

شـَدْواً.. فَجيعـَة َأسـرابِ الحَـساسينِ

تـَحومُ حَولـَكَ.. تـَبكي.. مَحْضَ أجنِحَـةٍ

مُرَفرِفـــاتٍ، بِـــصَمتٍ جـــِدِّ مَطعـــونِ!

هَـل كنـتُ أبكـي.. أم انَّ الـرِّيحَ تُـسمِعُني

نَحيبَهـــا بـــينَ أوراقـــي، وَتـــُوصيني

أن لا أميـلَ عـلى قـَومي فَأُسـمِعَهُم

نـَعيَّ محمـودٍ؟.. يـا شـُمَّ العَرانيـنِ

محمـودُ مـات.. فأنتـُم يـا عُمومَتـَهُ

مِـن صَوتـِهِ في مـَلاذٍ جـِدِّ مـأمونِ!

مـا عـادَ يُقلِقـُكم، لكـنْ سَيَترُكـُكم

مَـدى المَـدى سُبـَّةً بـينَ الدَّواويـنِ!

هـا قـد دَنـَوتُ لأوكـارِ الـشَّياطينِ

محمـود.. إنْ تِهتُ دَعْ مَسراكَ يَهديني!

مـا كـانَ أجـدَرَ في هـذي القـصيدةِ أن

أنـأى بِهـا عـن نِفـاياتِ الدَّهاقـينِ

وَأن أُنـَزِّهَ يـَوماً أنـتَ غُرَّتـُهُ

عـن أنْ يُـشابَ بـِذكرِ العـَيبِ والـدُّونِ

لكنـــهُ وَجَــعي.. أبـــقى أمُـــجُّ لـــهُ

دَمــاً وَجَمــراً، وَشِــعري مِــن قــَرابيني

هــذي مَذابــِحُ أهلــي، وهـــيَ مَــذبَحَتي

أنـــا الذَّبـــيحُ وأعمـــامي سَكاكيـــني

أمـــَّا زَواحِـــفُ أمريكـــا فـــقد عَـــبَرَتْ

إلـــيَّ مِـــن دُورِ هاتيـــكَ الثَّعابيـــنِ

وبَينَهـــا مِـــن بَـــني أعمامِنـــا عَـــرَبٌ

مُبَطَّنـــونَ بِجِـــسقيلٍ ورابيـــنِ!

وأنــتَ خمــسينَ عامــاً كنــتَ تَــصرَخُ في

ديانِهـــم، فَتُثَنـــِّي ألـــفُ آميـــنِ

حتـــى إذا استأنَـــسُوا أبـــصَرتَ أيـــديَهُم

كــلاً بـــِها خِنجَـــرٌ مِـــن صُـــنعِ صِـــهيونِ!

وَحَــقِّ مَوتــِكَ يــا مَحمــودُ، وهــوَ دَمٌ

ذِمامـــهُ حـــوَلَ أعنـــاقِ المَلايـيـــنِ

وإنـــَّني واحـــدٌ مـــنهُم، فَلـــَو خَفــَرَتْ

عَيني أقـولُ لهـا: عَـن مِحجَـري بـِيني!

عَمـىً لـَها.. كـانَ أولـى أن نمـوتَ مَعـاً

مِــن أنْ تُدَجــَّنَ أو تــَرضى بتِــدجينِ!

سَنَلتـَقي ذاتَ يـومٍ .. سَـوفَ تَـسألُني

مـاذا تركتَ؟.. وأحكي.. سَوفَ تـُعطيني

وِســـامَ أنْ أتَبـــاهى زاهيـــاً بـــِدَمي

لأنــَّهُ لــم يَـصِرْ مــاءاً لِيَحـميـنــي!

تــُرى أأوفَيــتُ أحزانــي مَدامِعَهـــا؟

وَقـَـد تـَـجاوَزتُ سِتــِّيني وَسَبعــيني؟

هُمــا إبــائي وَشِــعري صُــنتُ زَهوَهُمــا

حاشــاكَ مَحمــودُ يَومــاً أن تُواســيني!

أنــا حَمَلــتُ جِراحــي مُنــذ كُــنتُ فــَتىً

علـــى المَنـــابرِ، أو بـــينَ الـزَّنـازيـــنِ

وأنــتَ، قَلــبُكَ.. هَـل أحـسَنتَ عِـشرَتَهُ

أم كــنتَ تَحملـــهُ حَمــلَ المَطاعيــنِ؟

وكــانَ مــا بَينَــنا عَــشرٌ سَبَقــتُ بهــا

وَهـــا أنـــا الآنَ أســـعى لِلثَّمانيـــنِ

تــُرى أأثقَلَـــني عـــُمري فَأبـــطأني

وأنــتَ أســرَعتَ في سَبـــعٍ وسِتِّيــنِ؟!

* * *





يا شاديَ الأيك..

ألقيت في الحفل الكبير الذي أقيم
في دمشق، في ذكرى بدوي الجبل



أكَبــــرتُ مَغنـــاكَ أن يَـــذوي كَمَغنانـــا

يـا شـاديَ الأيـكِ عُمـرَ الأيـكِ مـا هانـا

يَبقـى النَّـدى مـا بَـدا للـضَّوءِ منـهُ مَـدى

يَجــري إليــهِ، ويَبقــى الأيــكُ سُــلطانا!

وأنـــتَ يـــا سَــيِّدي ناجَيتَـــهُ مَلَكـــاً

فَرَفــرَفَ الــشَّجَرُ المَــذهولُ هَيمانـــا

غَلغَلــتَ صَــوتَكَ في الأنــساغِ يُوقِظُهــا

حتــــى تَفَتَّحَـــــت الأوراقُ آذانــــــا!

أسـرَجتَ في الغَـيمِ بَـرقَ الـشِّعرَ أجمَعَـهُ
وحـينَ أمطَـرتَ مـاجَ الكَـونُ ألحانـا!

تُـــرى أغَنِّيـــتَ، أم رَتَّلتَهـــا صُـــحُفاً
تَنثـــالُ مـــن مَلَكـــوتِ اللّهِ أوزانـــا؟

مَـــلأتَ أنهـــارَ كـــلِّ الأرضِ أشـــرِعَةً
وقُلـتَ لِلمـاءِ: كُـنْ يـا مـاءُ طُوفانـا

وجئـــتَ بـــالوَحيِ آيـــاتٍ مُعَطَّـــرَةً
ســالَتْ بِهِــنَّ فَجُــنَّ المــاءُ سَــكرانا!

طُوبـاكَ والأيـكُ قـد أهـداكَ بَهجَتَـهُ
نحـــنُ امتُحِنَّـــا بِـــهِ وَرداً وأغـــصانا!

مُحَمَّـــدَ بـــنَ سُـــلَيمانٍ.. وأيُّ رؤىً
لِلـوَحيِ مَوسَـقتَها مَوجـاً وشُـطآنا؟

سُــبحانَ رَبِّــكَ هَــل داوودُ خُــصَّ بِهــا

هــذي المَزاميــرُ أم خَــصَّتْ سُــلَيمانا؟

فَحاشَــــها لابنِــــهِ.. تَلهــــو أصــــابِعُهُ

بهـــا.. مَلائِكَـــةً يُـــوقِظنَ شَـــيطانا!

يــا سَــيِّدي.. يــا نَــدِيَّ الحَــرفِ تَقدَحُــهُ

جَمــراً، وَيَبقــى علــى الأوجــاعِ نَــديانا

كــأنَّ حَرفَــكَ، مِمَّــا فيــهِ مِــن وَهَــجٍ

وَخُــضرَةٍ، نَبــعُ مــاءٍ أشــمَسَ الآنــا!

كأنَّــــهُ، وَجَنــــاحُ الــــوَحيِ يَحمِلُــــهُ

نجــمٌ يُشَعــشِعُ فِي الظَّلمــاءِ نَــشوانا

وَنَحــنُ يــا سَــيِّدي أوراقُنــا اختَنَقَــتْ

مِمَّــا نَمُــجُّ بِهــا دَمعــاً وَدُخَّانــا

رِقــــابُ أحرُفِنــــا مَلويَّـــــةٌ أبَـــــداً

فَـــوقَ الـــسُّطورِ، فَنَخــشاها وَتَخــشانا

صِــرنا كلانــا نَخــافُ الــسَّطرَ نَكتُبُــهُ

أن يَــستَفيقَ، فَنُغــضي عــن نَوايانـــا!

فَـــنَحنُ نُخفـــي، وَتُخفينـــا قَـــصائِدُنا

تَحـــتَ الرُّمـــوزِ.. وَنَنــساها وَتَنــسانا!

سَـــبعينَ عامـــاً طَوَينـــا نُـــستَفَزُّ دَمـــاً

فَـــــتَملأُ الأرضَ أرحامــــاً مَنايانــــا

يَلِـــدنَ لِلثَّـــأرِ أزكـــى وارِثـــي دَمِنـــا

إذ نحـــنُ فيهـــا ظُبــاً أُلبِـسْنَ أكفانـــا!

تَبقـــــى القبـــــورُ وِلاداتٍ مؤَجَّلَـــــةً

مـــادامَ فيهـــا كِبـــارُ الهَـــمِّ سُـــكَّانا!

سَـبعينَ عامـاً، وَتَـدري الـسُّوحُ أجمَعُهـا

أنَّـا أقَمنـا بِجُـرفِ المَـوتِ مَرسـانا

أبهَـى أُوَيلادِنـا كـانوا بِهـا شُـهُباً

تَهـوي وأركانُهـا تَهتَـزُّ أركانـا

والآنَ صِـرنا نَخـافُ الحَـرفَ نَكتُبُـهُ

وَنَتَّقـي قَبـلَ كـلِّ النَّـاسِ قُربانـا!

يـا لَيـتَ تلـكَ الـسِّنينَ الغُـرَّ مـا سُـقيَتْ

وليـتَ ذاكَ النَّزيـفَ المُـرَّ مـا كانـا!

يـا سَـيِّدي البَـدَويَّ الكَـربُ زَلزَلَنـي

هَـبْ هـذهِ الكَلِمـاتِ العُـرْجَ سِـيقانا

لَعَلَّنـي بِـشَرايِيني، علـى عَرَجـي

أُقــيمُ منهــا لِــبَعضِ النَّــاسِ ميزانــا

أقــــولُ لِلمُحْـــدِقينَ الآنَ بــــي عَرَبـــاً

أخــــــزاكُمُ اللّهُ أعمامــــاً وإخوانـــــا

بلادُكُـــــم كُلُّهـــا حُـــزَّتْ حَناجِرُهـــا

ومـــا تَزالـــونَ لِلجَـــلاَّدِ أعوانـــا!

أقــــولُ إنَّ بَنــــيكُم يَـــسألونَ غَـــداً:

آبــاؤهُم أيــنَ كــانوا مِــن رَزايانــا؟

مــاذا نَقــولُ لهُــم؟.. كــانوا سَماسِــرَةً

لِلمُعتَــدي؟.. بِــأخَسِّ البَيــعِ أثمانــا؟!

مــاذا نقــولُ؟.. غَزَتْنــا مِــن مَنــازِلِكُم

هــذي الأفــاعي التــي هِيـضَتْ بمأوانــا؟

وأنَّكـــــم، لا يَبِــــلُّ اللّهُ ريقَكُمــــو

بيـــوتُكُم صـِــرْنَ لِلغـــازينَ أوطانــــا؟

وأنَّ مَجمَـــــرَةً شَـــــعوا مَـــــداخنُها

مِـــن كـــلِّ أبيـــاتِكُم يَنفُـــثْنَ دُخَّانـــا

غَـــداً تُـــشَبُّ بـــأرضِ العُـــرْبِ أجمَعِهـــا

وَتَعتَلـــي شَـــفعَةَ الإســـلامِ نيرانـــا؟

مـــاذا نَقـــولُ إذا كانَـــت كـــرامَتُكُم

تَبكـي علـى قَدْرِها مِـن فَـرْطِ مـا هانـا!

صِـرتُم تَغـيظُ أذَلَّ النَّـاسِ ضِـحكتُكُم

مـا قِيـلَ عَـن واحِـدٍ مِـن بَيـنِكُم: خانـا!

كأنَّهـــا نُكتَـــةٌ تُستَـــضحَكونَ بِهـــا

هَـــل أصـــبَحَتْ لُغَـــةُ الإذلالِ إدمانـــا؟!

أم زادَ قَـــدْرُكُمو فِي الـــذُّلِّ مَرتَبَـــةً

إذ صــــرتُم الآنَ خُـــدَّاماً وعُبـــدانا؟!

يــا سَـيِّدي عُـذرَ صَـوتي أنْ يَمُـجَّ دَمـاً

صِـرنا نُجَـدِّفُ حَـدَّ الكَفْـرِ أحيانـا

فَــأيُّ أســتارِنا لِــلآنَ مــا هُتِكَــتْ؟

وأيُّ أقطارِنـــا لِــلآن مـــا عـــانى؟

هــا ســاحَةُ العُـربِ والإســلامِ مَذبَحَــةٌ

وَهـــا دِمَـــشقُ تُبـــاكي الآنَ بَغـــدانا

صَـرْحٌ هَـوى لا نَخَونـا فيـهِ مُعتَـصِماً

ولا نَــدَبنا، ولـــو بـــالهَمسِ، مَروانـــا

ولا صَـرَخنا كَمـا المَطعـونُ يَـصرخُ مِـن

أعمـــاقِ طَعنَتِـــهِ كِبْـــراً ونُكرانـــا

لكِــنْ نُنَمِّــقُ حَــدَّ اللَّمـــعِ صَـــرخَتَنا

وَقَــد نُرَقِّــقُ حَــدَّ الــدَّمعِ شَــكوانا

صــرنا أذَلَّ الــورى يَبــري عَـصاهُ لَنــا
ونحـــنُ نَبـــسِمُ إشـــفاقاً وإذعانـــا

أفــديكَ يــا سَـيِّدي إذ قلــتَ مُنــذَبِحاً
[تَــأنَّقَ الــذُّلُّ حتــى صــارَ غُفرانــا!]

يــا سَـيِّدي البَــدَويَّ الآنَ يَــشفَعُ لــي
هــذا النَّزيــفُ بــأن آتيــكَ ظَمآنــا

أقــولُ جَفَّــتْ ميــاهُ العُــرْبِ أجمَعُهــا
وأنـــتَ أحفَلُهـــا بالمـــاءِ ودِيانـــا

فَهَــبْ فَمــي رَشــفَةً مِمَّــا زَخَــرتَ بــهِ
مَــدى حَياتِــكَ أنهــاراً وَغُــدرانا

لَعَلَّنـــي، وَلَظـــى بغـــدادَ يَنظـــرُ لـــي

أجــري ولــو جَــدوَلاً ‌في جَمــرِهِ الآنــا

لَعَـــلَّ صَـــوتيَ يَعلـــو ‌في مَنائِرِهـــا

بِـــبَعضِ صَـــوتِكَ إنجـــيلاً وقُرآنـــا

يُقَبِّـــلُ النَّـــاسَ إنـــساناً فَإنـــسانا

وَيَحـــضُنُ الـــدُّورَ أبوابـــاً وَجُـــدرانا

يَقـــولُ دَفقَـــةُ مـــاءٍ مِـــن دِمَـــشقَ أتَـــتْ

تَـــسقيكُم الآنَ عَطـــشاناً فَعَطـــشانا

تُبَلـــسِمُ الـــرُّوحَ حتـــى تَـــستَفيقَ بهـــا

تلـــكَ المـــروءاتُ غَنَّـــاهُنَّ أزمانـــا

إذ ذاكَ يـــا سَـــيِّدي يَغفـــو بِأعيُنِنـــا

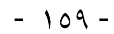
مُحَمَّـــدُ بـــنُ سُـــلَيمانٍ سُـــلَيمانا!

* * *

هَبها دُعاءكَ

إلى روح الشاعر الكبير السيد مصطفى جمال الدين.

ألقيت في دمشق في الاحتفال بالذكرى الثانية عشرة لرحيله.



هَبْهـــا دَعــــاءَكَ، فَهــــيَ لا تَتَـــذكَّرُ

مِن فَرْطِ ما اشتَبَكَتْ عليها الأعْصُرُ(*)

وَأعِـــدْ نِــداءَكَ مَـــرَّةً أُخـــرى لَهـــا

فَلَعَـــلَّ عَبْرَتَهــــا بِـــهِ تَتَكَــــسَّرُ

وَلَعَلَّهـــا، وَهــــيَ الذَّبيحَـــةُ، سَــيِّدي

بِمَهيـــبِ صَـــوتِكَ عُريُهـــا يَتَـــدَثَّرُ!

(*) في المطلع إشارة إلى قصيدة (بغداد) للسيد مصطفى جمال الدين: بغدادُ ما اشتبكت عليكِ الأعصُرُ.

وَلَعَــلَّ مَــن وَثَبُــوا علــى حُرُماتِهــا

نَــــــزَواتُهُم بِجَلالِـــــــهِ تَتَعَثَّــــــرُ

هَبْها جَمــالَ الــدِّينِ صَــوتَكَ حانيــاً

يَعلــو، فَيَخــشَعُ مِــن تُقــاهُ المِنبَــرُ!

فَعَــسى مَــسامِعُهُم، وبَعــضُ قلــوبِهِم

تَنــدَى بِــهِ مِــن قَبْلِمــا تَتَحَجَّــرُ

وَعَــساكَ تُــدرِكُ قَطــرَةً مِــن مائِهــا

أو نَخلَــةً يَبِــسَتْ تَعــودُ، فَتُثمِــرُ!

وَلَعَــلَّ طاعِنَهــا، وأنــتَ تَهُــزُّهُ

يَصحُو، فَيَسقُطُ مِن يَدَيهِ الخِنجَرُ!

بغــدادُ أُختُــكَ مُــصطفى، فَــأقِمْ لَهــا

أنـــتَ الــــصَّلاةَ، لَعَلَّهــــا تَتَـــأثَّرُ

بِعَميــقِ وَجْــدِكَ.. عَــلَّ فِي شُــطآنِها

جُرُفـــاً تُلامِـــسُهُ فَـــلا يَتَفَطَّـــرُ!

فَلَقَـــد عَهِـــدتُكَ والمُـــروءَةُ غَيْمَـــةٌ

فِي صَـــوتِكَ الحـــاني تَهِـلُّ وَتُمطِـــرُ!

تَـسقي الهَـوى.. يـا رُبَّ عَوْسَـجَةٍ بِـهِ

بَقِيَـتْ طِـوالَ حَياتِهـا تَخـضَوضِرُ!

صِـفةُ «الجَميـلِ» كـأنَّ كـلَّ حُروفِهـا

تُنْمـــى إلَيـــكَ، وكُلُّهـــا بِـــكَ تُزْهِـــرُ!

وَجْهـــاً، وأخلاقـــاً، وَعُمْـــقَ مُـــروءَةٍ

وَتُقـــىً.. وأعْظَمُهُـــنَّ أنَّـــكَ تَأسِـــرُ

بِوَديـــعِ طَبْعِـــكَ، حَـــدَّ أنَّ مَحَبَّـــةً

تَنْــسابُ مِــلْءَ الــرُّوحِ حَيْــثُ تؤَشِّــرُ!

عُــذراً أبــا حَــسَنٍ.. هُمــوميَ جَمَّــةٌ

وَوَريــقُ غُــصْنِكَ رغــمَ نَأيِــكَ أخــضَرُ

وأخـافُ مِـن وَجَعـي عليـهِ فَقـد مَـضَتْ

عــــشرونَ عامـــاً بَينَنـــا تَتَحَـــسَّرُ

أنَّـــا أضَـــعْنا في الأســـى أعمارَنـــا

والُحـــــزنُ في أعماقِنـــا يَتَجَـــذَّرُ

لَـــم نَلتَفِـــتْ لِلمُحْـــدِقاتِ بِبَيْتِنـــا

والُمحـــدِقينَ بِـــهِ، وأيـــنَ تَـــستَّروا

لَــم نَــسأل الأبــوابَ عَــن أقفالِهــا

لَـــم نَـــدْرِ مـــاذا خَلفَهُـــنَّ يُـــدَبَّرُ

وَإذا بِنـــا، في لَيلَـــتَينِ، مُباحَـــةٌ

حَتَّـــى مَحارِمُنـــا لِمَـــن يَتَـــسَوَّرُ!

أمَّـــا الـــدِّماءُ، فَلَـــو وَصَـــفْتُ أقَلَّهـــا

لَجَـرَتْ دُموعُـكَ فِي ضَـريحِكَ تَزخَـرُ!

هــذا دَمُ الفُقَــراءِ يَنــزِفُ مُـصطفى

وَفَقيــرُهُم يَبكــي عليــهِ الأفقَــرُ!

هــذا دَمُ العُلَمــاءِ.. مَــن أحْبَبْــتَهُم

ذُبِحُــوا علــى مَـرأى الأنـامِ وَسُـفِّروا!

وَدَمُ الَّـــذينَ كَتَبْـــتَ عـــنهُم أنَّهُـــم

بَنَــوا الحَـضارَةَ فِي العـراقِ، وَعَمَّـرُوا

دَمُ هـــؤلاءِ يَـــسيلُ، لا دَمُ مَـــن غَـــزا

وَحِـــــذاؤُه بِرِقابِنـــــا يَتَـــــأمَّرُ!

يــا سَــيِّدي، بغــدادُ حتــى شَمــسُها

سَــــوداءُ مِمّــــا وَجْهُهــــا يَتَغَفَّــــرُ!

لا ماؤهــــا يَنــــسابُ، لا ظَلْماؤهــــا

تَنجــــابُ.. لا إعــــسارُها يَتَيَــــسَّرُ

أمّــــا مَواسِــــمُ شِــــعرِها فَجَميعُهــــا

مِــن بَعْــدِ صَــوتِكَ عــارِضٌ لا يُــذكَرُ!

عُــــذراً أبــــا حَــــسَنٍ، وَمِثْلُــــكَ عــــاذِرٌ

لُغَتــــي علــــى وَجَعــــي، وَمِثلــــيَ يُعــــذَرُ

إنَّــــا تَقاسَــــمْنا التَّــــشَرُّدَ.. عِــــشتَهُ

قَبْلــــي، وَهــــا أنَــــذا بِــــهِ أتَعَثَّــــرُ

لَــــنْ أدَّعــــي أنِّــــي صَــــبورٌ في الأذى

بَعــضُ الأذى مِــن كُــلِّ صَــبْرٍ أكبَــرُ!

لكنَّـــــهُ وَطَنـــــي يُهَيَّـــــأُ نَعْـــــشُهُ

لِيَـــصيرَ أوطانـــاً تَـــضيعُ وَتُطْمَـــرُ

مِـن أجْـلِ مَـن ذُبِـحَ العِـراقُ، وأهلُـهُ

في كـلِّ أرجـاءِ البَريَّـةِ بُعثِـروا؟

مِـن أجْـلِ مَـن مليـونُ طِفـلٍ شُـرِّدوا

وَحَـدائقُ الـسَّرَطانِ فـيهِم تُزْهِـرُ؟!

مِـن أجْـلِ مَـن يـا سَـيِّدي آباؤنـا

وَصِـغارُنا مِـن كـلِّ بَيـتٍ هُجِّـروا؟

كُـلٌّ بـأرضٍ.. لا أبـا لأبيهِمُـو

اليابِـساتُ نَـأتْ بِهِـم والأبحُـرُ

وَلِمَـن بَنـادِقُ أهلِنـا وَنِـصالُهُم

بَعـضٌ علـى أعنـاقِ بَعـضٍ تُـشهَرُ؟

أفَهــــذِهِ لُغَــــةُ العَدالَــــةِ مُــــصطَفى

جــــاءوا بِهــــا لِيُقَوِّمــــوا، وَيُحَــــرِّروا؟

لِتَنــــامَ إســــرائيلُ مِــــلْءَ جفونِهــــا؟

وَكلابُهــــا في أرضِــــنا تَتَبَخــــتَرُ؟

لِتُقــــيمَ أمريكــــا بَعُقــــرِ بيوتِنــــا

وَنَظَــــلُّ نحــــنُ لَهــــا خِرافــــاً تُنحَــــرُ؟

أفَلَــــم يَكُــــنْ إلا نَزيــــفُ دِمائِنــــا

سُــقيا لِكــي يَنمــو الخَــرابُ الأكبَــرُ؟!

عَفْــــوَ ابتِــــسامَتِكَ التــــي أدري بِهــــا

حَتَّــــى بِأقــــسى المُوجِعــــاتِ تُنَــــوِّرُ

أنــتَ الإمــامُ الــسَّمْحُ، والعَلَــمُ الــذي

أبَـــداً مَعـــالِمُ وَجْهِـــهِ تَستَبـــشِرُ

مـــا راءَهُ مَـــن راءَ، فيِ أوجاعِـــهِ

إلا، عَلـــى أوجاعِـــهِ، يَتَنَـــدَّرُا!

يـــا صـــاحبَ القَلَـــمِ الأُحِـــسُّ كأنَّـــهُ

تَبكـــي الـــسُّطورُ عَلَيـــهِ وَهـــوَ يُـــسَطِّرُ

مِـــن فَـــرْطِ مـــا يَبْـــري حُـــشاشَتَهُ بِهـــا

أرأيتُمـــو قَلَمـــاً بِحَـــرفٍ يؤسَـــرُ؟!

لِلَّـــهِ دَرُّكَ مُـــصطَفى، وَمُبـــارَكٌ

قَبـــرٌ حَـــواكَ، وإنْ تَكُـــن لا تُقبَـــرُ!

* * *



في رحاب الحسين

١٩٩٥



قَـــدِمتُ، وعَفـــوَكَ عـــن مَقـــدَمي

حَـــسيراً، أســـيراً، كـــسيراً.. ظَمـــي

قـــــدمتُ لأُحـــــرِمَ في رَحبَتَيـــــك

سَـــــلامٌ لِمثـــــواكَ مـــــن مَحـــــرَمِ!

فَمُــذْ كنــتُ طفــلاً رأيــتُ الحــسين

منـــــاراً إلـــــى ضـــــوئِهِ أنتَمـــــي

ومُــذ كنــتُ طفــلاً وجَــدتُ الحُــسين

مَـــــلاذاً بأســـــوارِهِ أحتمـــــي

ومُـــذْ كنـــتُ طِفـــلاً عرَفـــتُ الحُـــسين

رِضـــاعاً.. ولـــلآن لـــم أُفطَـــمِ

ســـــلامٌ عليـــكَ فأنـــتَ الـــسَّلام

وإن كنـــــتَ مُختَـــــضِباً بالـــــدَّمِ!

وأنـــتَ الـــدَّليلُ إلـــى الكبريـــاء

بمـــا ديـــسَ مـــن صَـــدرِكَ الأكـــرَمِ!

وإنَّـــــكَ مُعتَـــــصَمُ الخـــــائفين

يـــا مَـــن مِـــنَ الـــذَّبحِ لـــم يُعـــصَمِ!

لقـــد قلـــتَ للـــنَّفسِ: هـــذا طريقُـــكِ

لاقـــي بِـــهِ المـــوتَ كـــي تَـــسلَمي

وخُـــضتَ وقـــد ضُـــفِرِ المـــوتُ ضَـــفراً

فمـــا فيـــه للـــرُّوحِ مِـــنْ مَخـــرَمِ

ومــــا دارَ حولَـــــكَ، بَــــل أنـــــتَ دُرْتَ

علـــــى المـــــوتِ في زَرَدٍ مُحكَـــــمِ

مِـــن الـــرَّفضِ والكبريـــاءِ العظيمـــةِ

حتـــــى بَـــــصُرتَ، وحتـــــى عَمِـــــي

فَمَـــسَّكَ مـــن دونِ قَـــصدٍ فمـــات

وأبقـــاكَ نجمـــاً مـــن الأنجُـــمِ!

ليـــومِ القيامـــةِ يَبقـــى الـــسُّؤال

هـــل المـــوتُ في شَـــكلِهِ المُـــبهَمِ

هـــو القَـــدرُ المُبـــرَمُ ألـــلا يُـــرَدُّ

أم خـــــادمُ القـــــدَرِ المُبـــــرَمِ؟!

ســـلامٌ عليـــكَ حبيـــبَ النَّبـــيِّ

وبُرعُمَـــهِ.. طِبـــتَ مـــن بُـــرعُمِ

حَمَلْـــتَ أعـــزَّ صِـــفاتِ النَّبـــيّ

وَفُـــــزتَ بمِعيـــــارِهِ الأقـــــوَمِ

دِلالَـــــةَ أنَّهُمـــــو خَيَّـــــروكَ

كمـــا خَيَّـــروهُ، فلـــم تُـــثْلَمِ

بـــل اختـــرتَ موتَـــكَ صَـــلْتَ الجَـــبين

ولـــم تَتَلَفَّـــتْ.. ولـــم تَنـــدَمِ

ومـــا دارتِ الـــشَّمسُ إلاّ وأنـــتَ

لِلألائِهـــا كـــالأخِ التَّـــوأمِ!

ســــلامٌ علـــى آلِـــكَ الحُـــوَّمِ

حوالَيـــكَ في ذلـــكَ المَـــضْرَمِ

وَهُـــم يَـــدفعون بِعُـــري الـــصُّدور

عـــن صَـــدرِكَ الطَّـــاهرِ الأرحَـــمِ
وَيحتَــــــضنونَ بِكِبْـــــرِ النَّبـــــيِّين
مـــا غـــاصَ فــــيهِم مِـــن الأســـهُمِ

سَــــلامٌ علـــيهِم.. علـــى راحَـــتَين
كشمـــــسَين في فَلَـــــكٍ أقـــــتَمِ

تَـــــشُعُّ بطونُهُمــــا بالـــــضِّياء
وتَجـــري الـــدِّماءُ مِـــن المِعـــصَمِ!

سَـــــلامٌ علـــــى هالـــــةٍ تَرتَقـــــي
بلألائِهـــــا مُرتَقـــــى مَــــــريَمِ

طَهـــــورٍ، مُتوَّجَــــــةٍ بــــــالجَلال
مُخَـــــضَّبَةٍ بالــــــدَّمِ العَنـــــدَمِ

تَهـــاوَت فـــصاحةُ كـــلِّ الرِّجـــال

أمـــــــامَ تَفَجّعِهـــــــا المُلهَـــــــمِ

فراحَـــتْ تُزعـــزعُ عَـــرشَ الـــضلّال

بــــــصوتٍ بأوجاعِــــــهِ مُفعَـــــمِ

ولـــو كـــان لـــلأرضِ بعـــضُ الحَيـــاء

لَمــــــادَت بأحرُفِهــــــا اليُـــــتَّمِ!

ســـلامٌ علـــى "الحُـــرِّ" في ســـاحتَيك

ومَقحَمِـــــهِ، جَـــلَّ مِـــن مَقحَـــمِ

سَـــــلامٌ عليـــهِ بحجـــمِ العَـــذاب

وحَجـــــمِ تَمَزُّقِـــــهِ الأشــــــهَمِ

سَـــــلامٌ عليـــــهِ.. وَعَتْـــبٌ عليـــه

عَتْـــبَ الـــشَّغوفِ بـــه المُغـــرَمِ؟!

فكيـــفَ، وفي ألـــفِ سَـــيفٍ لُجِمـــتَ

وَعُمــــرَكَ يـــا "حُـــرُّ" لـــم تُلجَــمِ؟!

وأحجمـتَ كيـف..؟.. وفي ألـفِ سـيف

ولـــو كنـــتُ وحـــديَ لـــم أُحجِـــمِ

ولـــم أنتَظـــرْهُم إلـــى أن تَـــدور

عليـــكَ دوائـــرُهُم يـــا دَمـــي

لَكنـــتُ انتزَعـــتُ حـــدودَ العـــراق

ولـــو أنَّ أُرســـانَهم في فَمـــي!

لَغيَّـــرتُ تـــأريخَ هـــذا التُّـــراب

فمـــا نـــالَ منـــهُ بنـــو مُلجَـــمِ!

ســـلامٌ علـــى "الحُـــرِّ" وَعيـــاً أضـــاء

وزرقـــاءَ مـــن ليلِهـــا المظلِـــمِ

أطلَّـــتْ علـــى ألـــفِ جيـــلٍ يَجـــيء

وغاصَـــتْ إلـــى الأقـــدَم الأقــــدَمِ
فأدركَــت الـــصَّوتَ.. صـــوتَ النُّبـــوَّةِ
وهـــــوَ علـــــى موتِـــــهِ يَرتَمـــــي

فمـــا ســـاوَمَتْ نفـــسَها في الخَـــسار
ولا ســـــــاوَمتْها علـــــــى المَغـــــــنَمِ

ولكـــنْ جَثَـــتْ وجفـــونُ الحـــسين
تـــــرفُّ علـــــى ذلـــــك المَجـــــثَمِ

ويـــا ســـيِّدي يـــا أعـــزَّ الرِّجـــال
يـــا مُـــشرَعاً قَـــطُّ لـــم يُعجَـــمِ

ويـــا بـــنَ الـــذي سَـــيفُهُ مـــا يـــزال
إذا قيـــلَ يـــا ذا الفقـــار احـــسِمِ

تُحِـــسُّ مـــروءةَ مليـــونِ ســـيفٍ

سَـــــرَتْ بـــــين كفّـــــكَ والمَحْـــــزَمِ!

وتُوشـــــكُ أن.. ثمَّ تُرخـــــي يَـــــدَيك

وتُنكِـــــرُ زعمَـــــكَ مِـــــن مَـــــزعَمِ

فـــــأين ســـــيوفُكَ مـــــن ذي الفَقـــــار

وأينَـــــكَ مـــــنْ ذلـــــكَ الـــــضَّيغَمِ؟!

علـــــيٌّ.. عَلـــــيَّ الهُـــــدى والجهـــــاد

عَظُمـــــتَ لـــــدى اللّهِ مـــــن مُـــــسلمِ!

ويـــــا أكـــــرَمَ النَّـــــاسِ بعـــــدَ النَّبـــــيِّ

وَجهـــــاً.. وأغنـــــى أمـــــريءٍ مُعـــــدَمِ!

مَلَكـــــتَ الحيـــــاتَين دُنيـــــا وأُخـــــرى

ولـــــيسَ ببيتِـــــكَ مِـــــن دِرهَـــــمِ!

فِـــــدىً لخـــــشوعِكَ مـــــن نـــــاطقٍ

فـــــداءٌ لجوعِــــكَ مـــــنْ أبكَــــمِ!

قــــدِمتُ، وعفـــوَكَ عـــن مَقــــدَمي

مَزيجــــاً مِــــن الــــدَّمِ والعَلقَــــمِ

وبــــي غَــــضَبٌ جَــــلَّ أن أدَّريــــهِ

ونَفــــسٌ أبَــــتْ أن أقــــولَ اكظِمــــي

كأنَّــــكَ أيقظــــتَ جُــــرحَ العــــراقِ

فتيَّــــــارُهُ كلُّــــــــهُ في دمــــــــي!

ألَــــستَ الــــذي قــــالَ للبــــاتراتِ

خُــــذيني.. وللــــنَّفسِ لا تُهزَمــــي؟

وطــــافَ بــــأولادِهِ والــــسّيوف

عَلَــــيهم ســــوارٌ علــــى مِعــــصَمِ

فَــــضَجَّت بأضــــلُعه الكبريــــاء

وصـــــاح علــــى موتِــــهِ: أقــــدِمِ!

كــذا نحـــنُ يــا سـيّدي يــا حُـسين

شِــداد على القَهــرِ لــم نُــشكَمِ

كـــذا نحـــنُ يـــا آيـــةَ الرَّافــدَين

سَــــواتِرُنا قَـــطُّ لـــم تُهـــدَمِ

لَــئنْ ضـجَّ مــن حولِــكَ الظَّــالمون

فإنّـــا وُكِلّنـــا إلـــى الأظلَـــمِ

وإن خانــكَ الــصَحْبُ والأصــفياء

فقــد خانَنــا مَــن لَــهُ نَنتَمــي!

بنـــو عمِّنـــا.. أهلُنـــا الأقرَبـــون

واحِـــدُهُم صــــارَ كـــالأرقَمِ

تَـــدورُ علينـــا عيـــونُ الــــذِّئاب

فنَحتـــــارُ مِـــنْ أيِّهـــا نحتمــــي!

لهـــذا وقَفنـــا عُـــراةَ الجِـــراح

كبـــــاراً علــــى لؤمِهـــــا الألأمِ

فيـــا ســـيّدي، يـــا سَـــنا كـــربلاء

يُلألـــــيءُ في الحَلَـــكِ الأعـــتَمِ

تَـــــشُعُّ منـــــائرُهُ بالـــــضِّياء

وتَزفُـــــرُ بـــــالوجَعِ المُلهَـــــمِ

ويـــا عطَـــشاً كـــلُّ جَـــدْبِ العـــصور

سَـــــيَنهَلُ مِـــــنْ وِردِهِ الزَّمـــــزَمِ

ســـأطبَعُ ثغـــري علـــى موطِئَيـــك

ســـــلامٌ لأرضِـــكَ مـــن مَلـــثَمِ!

* * *

يا مالِيء الدنيا دماً ومروءة



هَتَــفَ البَــشيرُ فَقَبِّــل ابنَــكَ يــا عَلــي

بــــــالمعنَيَين: مُقَبَّـــــــلٍ ومُقَبَّـــــــلِ

تَـــدري، ويَـــدري اللّٰهُ قَبْـــلُ، وَجَـــدُّهُ

إيحـــــاءَ مَولِـــــدِهِ بيَـــــومِ المَقتَـــــلِ!

طَرَفــا هِــلالٍ قَوسُــهُ عَــرْضَ الــسَّما

في الـــشَّمسِ ذاك، وذا بلَيـــلٍ ألْيَـــلِ

طَرَفـــا هِـــلالٍ مثـــلِ سَـــيفٍ هائـــلٍ

شَـطَرَ الـسماءَ، وظـلَّ يَـصرخُ: يـا هَلـي

بِدَمي فَصلَتُ اللَّيلَ عن بَلَجِ الضُّحى

كي يَستقيمَ، فيا سيوفُ تَعَجَّلي!

هتَفَ البشيرُ، فَقَبِّلْ ابنكَ يا عَلي

هَنِّيءْ بهِ الزَّهراءَ فهوَ ابن الوَلي

هوَ مَنْ على شَفَتَيهِ رَفَّ مُقَبِّلاً

ثغرُ النَّبيِّ.. حَنا على الوَجهِ الخَلي

وتكادُ أشرَفُ دمعةٍ من عينِه

تَهمي، ولكنْ عينُهُ لم تَهمِلِ

جَدٌّ، ولكنْ أيُّ جَدٍّ مُرسَلٍ

سِبْطٌ، ولكنْ سِبْطُ جَدٍّ مُرسَلِ

وهو الحسين، شهيدُ أشرَفِ وَقفَةٍ

هــــذا الزَّكـــيُّ الأنبَـــلُ بـــنُ الأنبَـــلِ

هـــذا الـــذي أسَـــرَ الزَّمـــانَ بموتِـــهِ

وأقـــامَ عـــن أسْـــرِ الزَّمـــانِ بمَعـــزَلِ!

يـــا مـــالئَ الـــدُّنيا دمـــاً ومـــروءةً

ومُكـــــبَّلاً في زِيٍّ غيـــــرِ مُكبَّـــــلِ

دارَتْ عليـــهِ الـــدَّائراتُ ولـــم يكُـــن

فَـــرْداً، ولا كـــان الحُـــسينُ بـــأعزَلِ

كانـــتْ حُـــشاشةُ جَـــدِّهِ في صَـــدرِهِ

وَمِـــن اقتـــدارِ أبيـــهِ كـــان بجَحفَـــلِ

لكنَّـــهُ القـــدَرُ العظـــيمُ أرادَهـــا

عـــصماءَ لـــم تُتـــأَمْ، ولـــم تَتمَهَّـــلِ!

فاختارَهـــا، واختـــارَهُ قَـــدَراً لهـــا

مُتَبتِّـــــلٌ يــــسعى إلــــى مُتَبَتِّـــــلِ!

حتـــــى إذا التَقَيـــا تَهيَّـــبَ مَوتُــــهُ

فهـوى الحـسينُ عليـه مثـلَ الأجْـدَلِ!

هـــي ميتـــةٌ عِـدْلَ الحيـاةِ بأسْـــرِها

أفَـــلَ الزَّمـــانُ ونجمُهـــا لـــم يأفَـــلِ!

يــا يــومَ مــيلادِ الحــسين، ولــم نَجِـدْ

إلاكَ مــــــيلاداً بمـــــوتٍ يَختَلـــــي

فيكـــونُ هـــذا ذا، وتُـــصبحُ ميتــــةٌ

كــــولادةٍ، لكــــن بطَعـــمِ الحَنظـــلِ!

حتـــــى تكـــادَ الأرضُ في مـــيلادِهِ

تبكـــي، وتُعلِـــنُ زهوَهـــا في المقتَـــلِ!

هـــو مولـــدُ القـــيَمِ العظيمـــةِ كلِّهـــا

ونزولُهـــا بـــالموتِ أعظـــمَ مَنـــزِلِ!

قُـــلْ للنُّجـــومِ بكـــربلاءَ تَرجَّلـــي

وعلـــى مَنـــائِرِهِ المَهيبـــاتِ انزِلـــي

وَخُـــذي سَـــنىً منهـــا لألـــفٍ قـــادمٍ

وخُـــذي دموعـــاً للمَجَّـــرةِ واهطِلـــي

ألفـــاً، وقـــولي للعـــصورِ جميعِهـــا

هيهـــات.. أنـــتِ بمثلِـــهِ لـــن تَحبَلـــي!

مِـــن أيـــن تَجتَمـــعُ النبـــوَّةُ مـــرَّةً

أخـــرى بميقـــاتِ الـــسَّماءِ المُنـــزَلِ؟!

يـــومَ الحـــسين، وإذ أُنـــادي يومَـــهُ

مـــيلادُهُ ورَحيلُـــهُ يَثِبـــانِ لـــي!

جِنْحَــــيْ سَــــنىً ودمٍ تُحلِّــــقُ فيهمـــــا

نفـــسٌ إلـــى فَلَـــكِ النُّبـــوَّةِ تَعتَلـــي

للّهِ دَرُّكَ مـــــــن وليـــــــدٍ باســـــــلٍ

للّه دَرُّكَ مـــــــن شـــــهيدٍ أبـــــــسَلِ!

وَلِـــدَ الحـــسينُ فيـــا عيـــونُ تَكَحَّلـــي

منـــهُ، ويـــا كـــلَّ الحَنـــاجرِ هَلِّهِلـــي

ثمَّ اجعَلـــي الأجفـــانَ غَـــيمَ مَـــدامعٍ

وَتـــذكَّري عطَـــشَ الحُـــسينِ فبَلِّلـــي!

وَلِـــدَ الـــذي لـــو جاذَبَتْـــهُ ضـــياءَهُ

شـمسُ الـسَّماءِ لَقيـلَ للـشَّمس اخجَلـي!

وَمَـــــن المـــــروءةُ بَيـــــدرٌ في بيتِـــــهِ

ولكـــلِّ أهـــلِ الأرضِ حَبَّـــةُ خَـــردَلِ!

وُلِـــدَ الـــذي دمُـــهُ أعـــزُّ دمٍ جـــرى
لــولا أبــوهُ.. تَبــارَكَ اســمُكَ يــا علــي!

أنجَبتَـــــهُ للمكرُمـــــاتِ جميعِهـــــا
وســــقَيتَهُ مــــنهنَّ نفـــسَ المَنهَـــلِ

ورآكَ فُـــزْتَ بهـــا، ففـــازَ بهـــا فتـــىً
بورِكـــتَ مـــن أسَـــدٍ هِزَبْـــرٍ مُـــشبِلِ!

يــا يــومَ مــيلادِ الحــسينِ وَهبْــتَ لــي
شَــرفَ الــدّخولِ إليــه أجمَــلَ مــدخَلِ

أن ألتقيــــهِ ولــــو ليــــومٍ واحــــدٍ
فَجــــراً بهيّــــاً لا دمــــاءَ مُجَنــــدَلِ!

أفَكلَّمـــــا ذُكِـــــرَ الحُـــــسين تَقطَّعَــــتْ
أحــشاؤنا وَجَعــاً وصِــحنا: يــا علــي؟

وكـــأنَّ أوجـــاعَ العـــراقِ جميعَهـــا

إرثُ الحـــسين فثاكِـــلٌ عـــن أثْكَـــلِ!

يـا سـيّدي، نفـسي فِـداكَ، أجِـزْ فَمـي

وبغَيـــرِ هـــذا الـــدَّمعِ أنطِـقْ مِقْـوَلي

أنـــا راجـــفٌ جَزَعـــاً فثَبِّـــتْ لحظـــةً

قلمـــي علـــى وَرَقـــي، وَثَبِّـــتْ أنْمُلـــي

وأمـــلأْ دمـــي فَرَحـــاً، ووجـــداني نَـــدىً

ودَعْ الفُـــــراتَ بمائِـــــهِ المتَوَسِّـــــلِ

يـــسعى إليـــكَ مُكفِّـــراً عـــن ذَنبِـــهِ

ألـــفٌ ونَيِّـــفٌ وهـــو أوجَـــعُ مُهمَـــلِ

وهـــو الفـــراتُ.. لـــو اســـتطاعَ أوانَهـــا

لأتـــاكَ مَفجوعـــاً بمـــاءٍ مُعـــولِ

وهَــوى علــى قَــدَميكَ يَـسقي مــاءَهُ

مِــن جــسمِكَ البِدمائِــهِ مُتــسَربلِ

ليكـــونَ عنـــدَ اللّهِ شـــاهدَ نفـــسِهِ

ويُجيـــبَ لا مُتلَعثمـــاً إن يُـــسألِ!

هتــف البــشيرُ، فيــا خَوافــقُ رَتِّلــي

بــالنَّبضِ مــا هتــفَ البــشيرُ، وبَــسمِلي

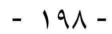
وبكـــلِّ أرضٍ يـــا مـــروءةُ زَغْـــرِدي

فـــإذا وَصَـــلتِ لِكـــربلاء فـــأعوِلي!

* * *

في رحاب النجف الأشرف

١٩٩٢



شَــــرَفٌ لـــيسَ بَعــدَهُ شَــرَفُ

أنَّـــكَ الآنَ عَرشُـــكَ النَّجَـــفُ

أيُّهــــا المُــــــستَفَزُّ أجنِحَـــــةً

في رِحـــابِ الكَـــرَّارِ تَرتَجِـــفُ

شَـــــرَفٌ أنَّ كـــــلَّ بارقـــــةٍ

أو رَفيـــفٍ مِـــن رَهبَـــةٍ يَجِــفُ

بجَناحَيـــــكَ أنَّ خَفْقَهُمـــــا

لِعلـــــيٍّ بالحـــــبِّ يَعتـــرِفُ

شَـــرَفٌ لـــيسَ بَعـــدَهُ شَـــرَفُ

أنَّـــكَ الآنَ بَيتُـــكَ النَّجَـــفُ

إنْ تَكُـــنْ قـــد وقفـــتَ مُرتَبكـــاً

فـــالنَّبيُّون هَهُنـــا وَقَفـــوا

أو تَكـــنْ جئـــتَ نازفـــاً فَأقِـــلْ

فـــالنَّبيُّونَ هَهنـــا نَزَفـــوا

وتَواضَـــعْ، فَكـــلُّ أُنْمُلَـــةٍ

هَهنـــا فوقَهـــا دمٌ يَكِـــفُ!

مِـــن علـــيٍّ لليـــومِ هاطلـــةٌ

تَحتَهـــا الرَّاســـياتُ تَنخَـــسِفُ

فاختَـصِرْ إنْ تَكـنْ أتَيـتَ لكـي

تُعلِــنَ الحُــزنَ أيُّهــا الكَلِــفُ!

عَجَبــي يــا حــسينُ كيــفَ هُنــا

لــيسَ يَحمَــرُّ لَونُــهُ الــسَّعَفُ!

كيــفَ تَبقــى الــسَّماءُ صــاحيَةً

هكــذا، والغــصونُ تَنعَطِــفُ

وكــأنْ لــم يَكُــنْ هنــا مَطَــرٌ

دَمُــهُ عِــدْلَ بَرقِــهِ يَلِــفُ!

تُربَــةُ الأنبيــاءِ يَعــصِمُها

أنَّهــا الآنَ فــوقَ مــا أصِــفُ

كلَّمــا أُمْطِــرَتْ زَهَــتْ رُطَبــاً

بَينَمــا حِمْــلُ غيرهــا حَــشَفُ

سـيِّدي يـا علـيُّ، مَعـذرةً

أنـا مِـن راحَتَيـكَ أرتَـشِفُ

أبلَـغُ القـولِ أنـتَ سَـيِّدُهُ

والـوَرى مِـن نَـداكَ تَغتَـرِفُ

فـإذا مـا وقفـتُ مُـضطَرِباً

فاعـذُرَنْ وَقفَتـي التـي أقِـفُ

أنـا نُـصُبَ الجَـلالِ أجمَعِـهِ

لَيتَنـي لـي بِظِلِّـهِ كَنَـفُ

ليـتَ مـاءَ الفُـراتِ يُـصبحُ لـي

أدمُعـاً في ثَـراكَ تَنـذَرِفُ

أيُّهـا الحاسِـرُ الـذي أبَـداً

بِـشِغافِ القلـوبِ يَلتَحِـفُ

أيُّهـــا الجاسِـــرُ المَـــضاربُهُ

كـــلُّ ليـــلٍ بِهِـــنَّ يَنكَـــشِفُ

أيُّهـــا الآسِـــرُ الأســـيرُ تُقـــىً

لـــــــيسَ إلا اللّهِ يَزدَلِـــــــفُ

هـــوَ فَجـــرُ الإســـلامِ.. أعظَمُـــهُ

أنَّـــهُ ذلـــكَ الفَتـــى الأنِـــفُ

الـــذي عَنـــهُ فاتِحـــاً يَـــدَهُ

نَزَلَـــتْ مِـــن سَـمائِها الـصُّحُفُ

والـــذي مِنـــهُ قابِـــضاً يَـــدَهُ

شَـــعَفاتُ القلـــوبِ تَـــشَعِفُ

والـــذي مِـــن دُعائِـــهِ انفَطَـــرَتْ

بـــابُ رَبِّـــي، وانجابَـــت الـسُّجُفُ

الـــذي لـــو تَمَـــسُّ غَيرَتُـــهُ

جَــبَلاً قلــتُ ســوفَ يَنخَــسِفُ

والـــذي سَــيفُهُ النُّفــوسُ بِــهِ

قبــلَ خَطـفِ العيــونِ

والـــــذي إذْ تَلـــوحُ غُرَّتُـــــهُ

كـلُّ شـمسٍ في الكـونِ تَنكَسِفُ

هـــوَ فَجـــرُ الإســـلامِ.. لؤلـــؤهُ

آلُـــهُ، والعَـــوالِمُ الـــصَّدَفُ

يـا ابـنَ عَـمِّ النَّبـيِّ لُطفَـكَ بـي

وأجِزْنـــي، فالليـــلُ يَنتَـــصِفُ

وأنـــا لـــم أزَلْ أرى قَلَمــــي

ويَـــدي والــــسّطورَ تَرتَجِــــفُ

أنـــا ـ في حَــضرَتَيكَ.. شاخِــصَةٌ

نُــصّبَ عَينــي هــذي، وذي تَــرِفُ

في ضـلوعي.. مُـذْ كُـوِّرَتْ قَفَـصاً

وضــــلوعي عليــــكَ تَعتَكِــــفُ!

فَـــــأقِلْني إذا كَبَـــــوتُ هُنــــا

مِـن خـشوعي.. وتَعـذُرُ النَّجَـفُ!

* * *



يا نَجيَّ اللّٰه!

ألقيت في الاحتفال المهيب الذي أقيم في النجف الأشرف بمناسبة الذكرى الثمانينية للشاعر والفقيه والمجاهد السيد محمد سعيد الحبوبي في ١٢/ ١٢/ ١٩٩٧م.

أُعفُ عنّي واقفاً بينَ يَدَيكَ   أيُّها المُشْرِفُ من عالي الذُّرا

أنا مِن أرضي هُنا أرنُو إليكَ   بَينَما أنتَ سَماءٌ لا تُرى!

هكذا طَيفُكَ لي لَيلاً بَدا

مثلَ نَجمٍ لَفَّهُ غَيمُ الرَّدى

وَتَلالا ضَوؤهُ رغمَ المَدى

مالئاً عَيني بِوَمضَيّ مُقلَتَيكَ   مالِكاً قلبي، دَرى أو ما دَرى

أنـا طفـلاً كنـتُ هَيمـانَ علَيـكْ   مُنـذُ أن نَبْعُـكَ في قلبـي جَـرى!

مُـذْ «غـزالِ الكَـرخِ والكـأسِ الهَنــي»

وَرَجـــا صـــاحِبِهِ عبـــدِ الغَنـــي

«إسْقِني واشـرَبْ أو اشـرَبْ واسْـقِني»

مُنذُها، والـشِّعرُ يُدنيني إليـكْ   مانِعاً عن مُقلَتي طَيفَ الكَرى

كيفَ أعتَى لُغَةِ الـضّادِ لَـدَيكْ   تَـستَوي نَبْعـاً وَتَجـري أنهُـرا!

يـا نَـدى الحَـرفِ وَيـا حَـرْفَ النَّـدى

وَيَـــدَ الحَـــقِّ جِهـــاداً وَهُـــدى

أنـت كنـتَ الـصَّوتَ والـدَّهرُ صَـدى

والمُــروءاتُ نَمَــتْ فِي رَحْبَتَيــكْ ساريـاتٍ حَيـثُ مَرقـاكَ سَـرى

أيُّها العابِدُ طـأطِيءْ عارِضَيكْ قَـلَّ أنْ مِثلَهُمـا مَـسَّ الثَّـرى!

يـــا إمـــامَ الحُـــبِّ، ثمَّ الغَـــزَلِ

يــا مَــن التَّقــوى بِــهِ تَقــوى وَلــي

سَــيِّدي أفــديكَ هَـــلاّ قُلــتَ لــي

كيـــفَ إذْ تَحنـــي خـــشوعاً يَنحَنـــي خَلفَهُمـــا كـلُّ الــوَرى

بَينَمــا الفِتنَـةُ تَغـزو ناظِرَيـكْ «قَمَـراً تَمّـاً، وَظَبيـاً أعْفَـرا»!

زَعَمُــوا أنَّــكَ لَــم تَعــشَقْ، وَلَــم..

وَهُمُـــو أربـــابُ حَـــرْفٍ وَقَلَـــمْ

تَرِبَــــتْ أقلامُهُـــــم.. هـــــذا الألَـــــمْ

والجَوى هذا الـذي ـِـفي جانِحَيـكْ هــذهِ الأوجــاعُ.. كانَـتْ بَطَــرا!

أمْ هُمـو مــا فَهِمـوا إغـضاءَتَيك هــذهِ تَقــوى، وَهــذي خَفَــرا!

مَــن يَقُــلْ عــن سِــربِ غِــزلانٍ سَــني

«يَتَبــــــالَهْنَ وَقَـــــد يَعرِفنَنـــــــي»

«وَهـــــوَ فـــيهِنَّ غَـــضيضُ الأعـــيُنِ»

إنَّ مَن يَرصُدَ ما ـِـفي نَظرَتَيكْ مِــن وُلــوعٍ ـِـفي خُــشوعٍ أُسِــرا

يَفهَمُ الجُرحَ الـذي ـِـفي بُردَتَيكْ يا شَـهيداً ـِـفي الهَوى ما أُجِـرا!

رَحمَـــةُ اللّهِ علــى شَــيخي البَـــصيرْ

كـــانَ لـــي في حَيرَتـــي نِعــمَ النَّـــصيرْ

قـــالَ لـــي يَومـــاً: أتَرضـــى أن يَـــصيرْ

صـاحِبُ الغُـرِّ الأثيـراتِ لـدَيكْ جاهلاً بالحُبِّ مَقطوعَ العُـرى؟

قلـتُ: كـلاّ والـذي أوحـى إليـكْ هـوَ أدرى فيـهِ مِـن كـلِّ الـوَرى!

سَـــيِّدي، يـــا أطهَـــرَ النـــاسِ يَـــدَينْ

وأعَـــــفَّ النَّـــــاسِ خَفَّاقـــــاً وَعَـــــينْ

مِـــن مَعـــاني حَـــسَنٍ، أو مِـــن حُـــسَينْ

مَـلأَ الحُـبُّ تَقيَّـاً جانِحَيـكْ لِيُحِبَّــا شَــرْطَ أنْ لا يُؤسَــرا

إنَّ نِبـراسَ الهَـوى وَقْـفٌ عَليـكْ أنتَ في الحُبِّ تَرى ما لا نَـرى!

أيُّهـــا الـــسَّاهِدُ قَلْبـــاً وَحَـــدَقْ

أيُّهـــا العابِــدُ وَفَّـــى وَصَـــدَقْ

أيُّهـــا الواصِـــدُ بابــاً لا يُـــدَقْ

دونَ أنْ يَـــستأذِنَ الـــسَّاعي حَـــذَراً، أو خَفَـــراً، أو بَهَـــرا

فَـــإذا قَبَّـــلَ فِي حُـــبٍّ يَـــدَيكْ فَكَـــأنْ قَبَّـــلَ كَفَّـــيْ حَيْـــدَرا!

أنـــتَ يـــا شِـــبْهَ عَلـــيٍّ فِي المِهـــادْ

فِي تُقـــــاهُ، وَإبـــــاهُ، والجِهـــــادْ

والَّـــذي عَـــوَّدَ عَينَيـــكَ الـــسُّهادْ

إنَّ مِـــن هَيْبَتِـــهِ فِي وَقفَتَيـــكْ خاشِـــعاً لِلَّـــهِ أو مُنتَـــصِرا

صُـــورَةً تُـــسْبِغُ مَعنـــاهُ عَلَيـــكْ ســـاجِداً فِي دَمِـــهِ مُـــدَّثِرا!

هكـــــــذا جَـــــــدُّكَ في أيَّامِـــــــهِ

تَـــسطَعُ الـــشَّمسُ علـــى أعلامِـــهِ

وَذُرا مَعْنـــــــــــاهُ في إســـــــــلامِهِ

وَبِمَعنـــاهُ قَرأنـــا صَـــفحتَيكْ فَرَأينـــاكَ بِـــهِ مُـــؤتَزِرا

حـــامِلاً آيَتَـــهُ في أصـــغَرَيكْ قَلْـــبَ لَيـــثٍ وَلِـــساناً أجهَـــرا!

يـــا كَبيـــراً في التُّقـــى والغَـــزَلِ

يـــــا نَجـــــيَّ اللّهِ مُنـــــذُ الأزَلِ

يـــا بَقايـــا حَـــسَنٍ بَعـــدَ عَلـــي

كلُّ مَن يَصعَدُ مَرقَى قَدَمَيكْ حـامِلاً ضَـوءَكَ قِنـديلَ سُـرى

فَلَقَدْ أنْبَتَ إحدى حُسْنَيَيكْ	وَهَجاً في قَلبِهِ أو مَطَراً!

سَيِّدي، يا سَيِّدَ الدُّنيا جَميعا

يا خَضيبَ القلبِ دَمعاً وَنَجيعا

أيُّها الرَّاكِعُ لِلَّهِ صَريعا

أنا إذْ أطرُقُ بابَيْ مَحْبِسَيكْ	مَحبِسَ العِلمِ، وَحَبْساً أخطَرا

هوَ حَبْسُ الرُّوحِ في اللهِ لَدَيكْ	هكذا القدِّيسُ يَسعى بَشَرا!

هكذا أنتَ عظيمٌ سيِّدي

أيِّدٌ عَن أيِّدٍ عَن أيِّدِ

أنا إذْ أحمِلُ طِرسي بيَدي

مُنشِداً مِسكينَتي بَينَ يَدَيكْ   مِثلَ مَن يُبْضِعُ تَمراً هَجَرا

فَلأنِّي مُوثَقُ القلبِ لَدَيكْ   فأقِلْني عاثِراً مُعتَذِرا!

أيُّها القلبُ الذي لم يَجِفِ

لِسِوى اللّهِ، وَلَم يَرتَجِفِ

سَيِّدي، مِن عُمْقِ أرضِ النَّجَفِ

أرفَعُ الصَّوتَ مِن القلبِ إليكْ   آمِلاً، مُبتَهِلاً، مُستَغفِرا

فَسَلامُ اللّهِ مَولايَ عَلَيكْ   ما ظَلامٌ عن صَباحٍ أسفَرا!

هوامش

- كل ما بين الأقواس تضمين من موشحات السيد المجاهد محمد سعيد الحبوبي.

- البصير: هو الدكتور محمد مهدي البصير (رحمه الله) وكان أستاذنا في الأدب في دار المعلمين العالية ببغداد، ورئيس قسم اللغة العربية فيها، وشاعر ثورة العشرين في العراق.

* * *

المحتوى

الصفحة

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠٠٩
عدد الطبع ١٠٠٠نسخة



مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٠

سعر النسخة ١٠٠ ل.س أو ما يعادلها